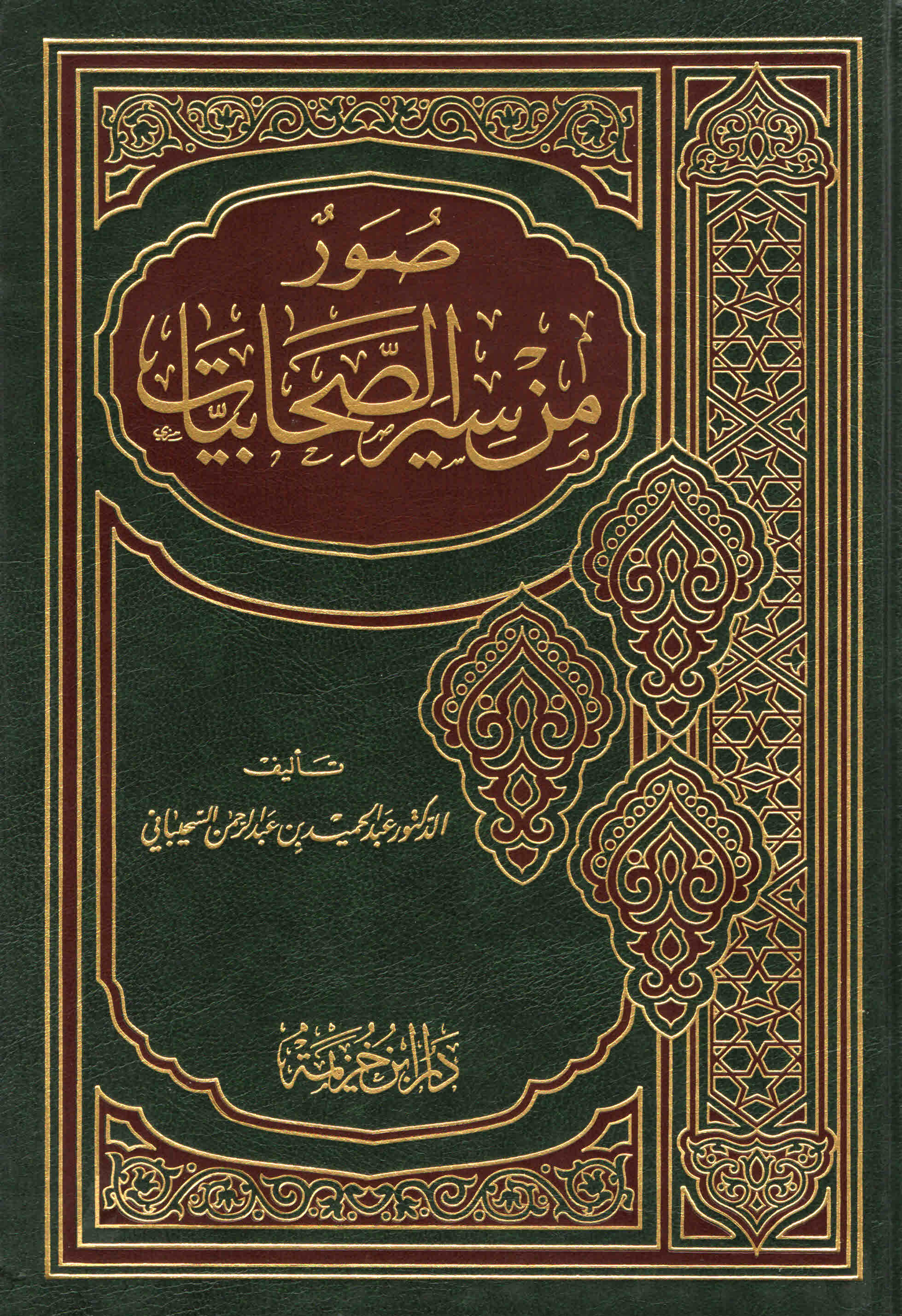

صور
من سير الصحابيات
تأليف
الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني
دار ابن خزيمة

صُوَرٌ
مِنْ سِيَرِ الصَّحَابِيَّاتِ

ح دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السحيباني، عبدالحميد عبدالرحمن

صور من سير الصحابيات . / عبدالحميد عبدالرحمن السحيباني –

الرياض، ١٤٣٣ هـ

١٨٨ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٥-٢-٩٨٥٧-٩٩٦٠

١-الصحابيات والتابعيات ٢-المرأة في الإسلام-تراجم أ-العنوان

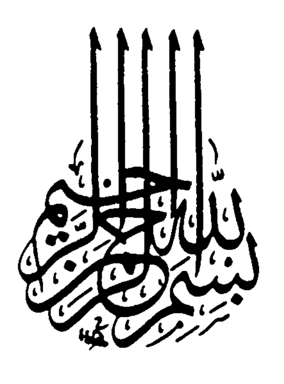
ديوي ٢٣٩،٩ ١٤٣٣/٢٣٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٣٠
ردمك: ٥-٢-٩٨٥٧-٩٩٦٠

الطَّبْعَةُ الخَامِسَةُ
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار ابن خزيمة
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض
الملز - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان
هاتف : ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فاكس : ٤٧٦٠٧٩٥



مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على أشرف خلقه محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن سلك نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

هذا هو كتاب صور من سير الصحابيات في طبعته الجديدة، الطبعة الخامسة وقد حرصت فيها بعد مضي خمسة عشر عاماً على الطبعة الأولى على أن يكون مختصراً، وبعيداً عن الحشو والتطويل الممل، وبذلت غاية جهدي في توثيق مادته العلمية من المصادر العلمية، والمراجع القديمة التي هي العمدة في مثل هذا الموضوع المهم، موضوع صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم آملاً أن نتخذ من هذه السيرة الطيبة نبراساً يضيء حياتنا، وينور قلوبنا، ويشرح صدورنا، ويحبب لنا العمل الصالح الذي يقودنا بإذن الله تعالى إلى اللحاق بركب القوم، والاجتماع بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأود في الختام أن أنبه الإخوة والأخوات إلى أن الطبعة الشرعية لهذا الكتاب هي طبعة دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع بالرياض، وأن ما صدر من دار عالم الكتب لمّا أعادت نشر الكتاب هي طبعة غير شرعية، ولا يجوز بيعها ولا تداولها بين مؤسسات التوزيع والمكتبات لأنها كانت بغير إذن مني، ولأن في عملهم هذا إضراراً عظيماً بالناشر الشرعي والوحيد لهذا الكتاب: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع بالرياض، وقد كتبتُ ذلك إبراءً لذمتي أمام الله تعالى يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكتبه

الدكتور عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله -تعالى- وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإسلام قد أكرم المرأة أيما إكرام، بنتًا كانت أو زوجًا، أو أمًّا، أو أختًا. وقد ذكر القرآن الكريم عددًا من النساء اللاتي كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية كحواء، وأم موسى، وزوج فرعون، ومريم بنت عمران، ونزلت آيات في القرآن في عدد من النساء، وأفردت من القرآن للنساء سورتان، هما سورة النساء وسورة الطلاق.

وتحدث القرآن عن المؤمنات اللاتي جئن إلى رسول الله ﷺ مبايعات أو مهاجرات كما بينته سورة الممتحنة. وما ذاك إلا لأن للمرأة دورًا كبيرًا في المجتمعات، وقد أدرك ذلك- بالنسبة للمسلمين- أعداؤهم الذين يتربصون بهم الدوائر، فهذه المبشرة (أنا ميلجان) تقول: «ليس هناك طريق لهدم الإسلام إلا تعليم بنات المسلمين في المدارس التي أنشئت خصيصًا لهذه الغاية. والتي تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربي الذي تختفي فيه كلمة: الحرام، والحياء، والفضيلة» ثم تقول: «ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة».

إن المرأة المسلمة اليوم تقع تحت ضغوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولى، وتحول بينها وبين تفهم رسالته.

لهذا كان على المرأة المسلمة أن تتعرف على نساء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ بمعرفة سيرهن وأخبارهن، لتدرك الحال التي كن عليها، ولتجعل منهن قدوة حسنة، ومشاعل تنير أمامها الطريق.

وستجد الأخت المسلمة بين دفتي هذا الكتاب نماذج مختصرة من سير الصحابيات الجليلات، واللاتي صحبن فجر الدعوة، وشاركن فيها، وارتفعن بالإسلام إلى آفاق سامية ما كن يستطعن الوصول إليها لولا صدق الإيمان وإخلاص العمل.

لقد كانت كل واحدة منهن مثالًا فريدًا لمن أيَّد الدعوة، وحمل الراية، ودافع عن الحق، ووقف كالطود الشامخ من حول رسول الله ﷺ يؤيده ويناصره.

وعسى أن يكون في هذا الكتاب ما يقود خُطا نساء المسلمين على طريق الإيمان، وما يذكرهنَّ بحياة تلك النسوة اللاتي هانت عليهن -في سبيل الله- المكاره، وأفضى يقين الإيمان إلى قلوبهن، وسيطر على نفوسهن وعقولهن، فآثرن الآجل على العاجل، والدائم على الفاني، ففزن برحمة الله ورضوانه.

وقبل الختام أذكّر الأخوات المسلمات أن يقرأن سيرة هؤلاء الصحابيات قراءة مستنيرة جادة، ليحملن الراية من جديد، وليُعِدنَ لحياة لناس روحها الطاهرة، ولأمتهن مستقبلها المأمول، وما ذلك على الله - تعالى- بعزيز.

وأحب أن أنبه الإخوة والأخوات قرَّاء هذا الكتاب أنني في هذه الطبعة قمت بإصلاح جملة من الأخطاء الواردة في الطبعات السابقة، وأحلت في جميع محتويات الكتب على مصادرها الأصلية حسب استطاعتي مما لم أنتبه إليه في الطبعات السابقة.

كما أعدت النظر في ترتيب أسماء الصحابيات فقدمت ذكر من وقفت عليها

ممن لها ترجمة في الكتب المتقدمة من أزواجه وبناته (رضي الله عنهن)، وأما البقية فرتبتهن حسب حروف المعجم نظرًا لعدم وقوفي على تاريخ وفاة كل واحدة منهن، أسأل الله -تعالى- أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه ومستمعه يوم الدين؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون.

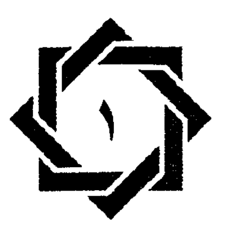
وكتبه

الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

البريد الإلكتروني: Abdul7med99@hotmail.com

ص. ب. ٤٠٤٧ الرياض ١١٤٩٩





خديجة بنت خويلد

سيدة قريش الطاهرة

إنها سيدة نساء العالمين في زمانها، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب القرشية الأسدية الملقبة بـ (الطاهرة)[١]، وسيدة قريش، ولدت في بيت مجد وسؤدد قبل عام الفيل بخمسة عشر عامًا تقريبًا[٢]، ونشأت في بيت من البيوت الشريفة، فغدت امرأة عاقلة جليلة، اشتهرت بالحزم والعقل، والأدب الجم، لذلك كانت محط أنظار كبار الرجال من قومها.

تزوجت من أبي هالة بن زرارة التميمي فأنجبت منه هالة وهندًا، ولما مات أبو هالة تزوجت من عتيق بن عائذ بن عبدالله المخزومي فلبثت معه فترة من

(١) «الإصابة» (٧/ ٦٠٠).

(٢) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣١).

الزمن ثم افترقا(١). ثم تقدم لها بعد ذلك كثيرون من أشراف قريش لكنها آثرت الانصراف لتربية أولادها، وإدارة شؤون حياتها حيث كانت غنية ذات مال، وكانت تستأجر الرجال ليتاجروا لها، وتدفع لهم المال مضاربة، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ قبل بعثته ما اتصف به من الصدق والأمانة والخلق، أرسلت إليه ليخرج بمالها إلى الشام مع غلام لها يقال له ميسرة على أن تعطيه أكثر مما تعطي غيره. ووافق ﷺ وسافر مع غلامها، ووفقه الله -تعالى- في هذه التجارة فكان الربح وفيرًا، فسُرت خديجة بهذا الخير الكثير الذي أحرزته على يد محمد ﷺ(٢) وبدأت الخواطر تتسابق إلى ذهنها ممزوجة بالعواطف الجياشة التي لم تعرفها من قبل؛ إنه رجل ليس كبقية الرجال.

ولكن تُرى هل يقبل الشاب الأمين الصادق بالزواج منها وقد بلغت الأربعين من عمرها؟

وكيف تواجه قومها وقد ردت عن بابها الخطاب من سادة قريش؟

وفي غمرة الحيرة والاضطراب تدخل عليها صديقتها نفيسة بنت منبه، وتجلس معها تبادلها أطراف الحديث حتى استطاعت أن تكشف السر الكامن المرتسم على محياها وفي نبرات حديثها.

وهدأت نفيسة من روع خديجة وطمأنت خواطرها، وذكرتها بأنها ذات الحسب والنسب والمال والجمال، واستدلت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشراف الرجال.

وما إن خرجت نفيسة من عند خديجة حتى انطلقت إلى النبي ﷺ وكلّمته أن

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

يتزوج الطاهرة خديجة. ذُكر أنها قالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟

فقال: عليه الصلاة والسلام: «ما في يدي شيء».

قالت: فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب؟

فرد متسائلًا : ومن؟

قالت على الفور: خديجة بنت خويلد.

فأجاب [1].

وانطلقت نفيسة لتزف البشرى إلى خديجة، وأخبر ﷺ أعمامه برغبته في الزواج من خديجة، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة عمرو بن أسد، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا إليه الصداق.

ولما تم العقد نحرت الذبائح، ووزعت على الفقراء، وفتحت دار خديجة للأهل والأقارب فإذا بينهم حليمة السعدية جاءت لتشهد زواج ولدها الذي أرضعته، وعادت بعد ذلك إلى قومها ومعها أربعون رأسًا من الغنم هدية من العروس الكريمة لمن أرضعت زوجها محمدًا ﷺ.

وهكذا أصبحت الطاهرة سيدة قريش، زوجًا لمحمد الأمين ﷺ، وضربت أروع الأمثال وأعظمها، فعندما رأت أنه يحب مولاها زيد بن حارثة وهبته له، ولما آنست منه الرغبة في ضم أحد أبناء عمه أبي طالب إليه رحبت بذلك، وأفسحت لعلي (رضي الله عنه) المجال الأوفر ليكتسب من أخلاق زوجها محمد ﷺ [2]. ومنَّ الله – تعالى – على ذلك البيت السعيد بالنعمة بعد النعمة، فرزقها البنين والبنات:

---

(١) «الإصابة» (٧/ ٦٠٢)، و «الطبقات الكبرى» (١/ ١٢١).

(٢) «نساء حول الرسول» لمحمود الاستانبولي ومصطفى الشلبي.

القاسم، وعبدالله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم وفاطمة[١] .

وكان رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء شهرًا كاملًا من كل عام، وقد حببت إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده، ومكث رسول الله ﷺ على ذلك الحال ما شاء الله له أن يمكث، ثم جاءه جبريل (عليه السلام) بما جاءه من كرامة الله- تعالى- وهو بحراء في شهر رمضان، وكان معه من أمر الوحي ما كان، ثم انطلق يلتمس بيته في غبش الفجر خائفًا وهو يقول: **[زملوني زملوني. دثروني دثروني]** وبعد أن استوضحت منه الأمر قال لها: **يا خديجة، لقد خشيت على نفسي**، قالت: «والله لا يخزيك الله أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٢].

واطمأن فؤاد الرسول ﷺ أمام هذا التثبيت، وعاودته سكينته أمام تصديق زوجه وإيمانها بما جاء به، ولم تكتف بذلك؛ بل ذهبت من فورها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وحدثته بما كان من أمر الرسول ﷺ فما كان منه إلا أن قال: «هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني كنتُ فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجي هم؟**» قال : نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا...»[٣]

وذكر ابن هشام في السيرة أبياتًا رائعة لورقة بن نوفل، تبين حرصه ولهفته على إدراك رسالة محمد ﷺ يقول فيها:

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٠) ط. دار الكنوز الأدبية.

(٢) رواه البخاري في أول كتاب بدء الوحي، الحديث رقم (٣).

(٣) أخرجه البخاري في أول كتاب بدء الوحي، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، الحديث رقم (١٦٠).

لججتُ وكنت من الذكرى لجوجًا ... لهمٍّ طالما بعث النشيجا
ووصفٍ من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكّتين على رجائي ... حديثك أن أرى منه خروجًا
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجًا
بأن محمدًا سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجًا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجًا
فيلقى من يحاربه خسارًا ... ويلقى من يسالمه فلوجًا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم ولوجًا
وُلُوجًا في الذي كرهت قريش ... ولو عجت بمكتها عجيجًا
أُرجي بالذي كرهوا جميعًا ... إلى ذي العرش وإن سفلوا عروجًا
وهل أمر السفالة غير كفر ... بمن يختار مَنْ سمك البروجًا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجًا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة حَروجا [1]

لقد كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، دخلت في الإسلام ووقفت مع رسول الله ﷺ تنصره وتشد أزره، وتعينه على احتمال أقسى ضروب الأذى والاضطهاد، فخفف الله -تعالى- بذلك على نبيه ﷺ، فكان لا يسمع شيئًا مما يكرهه من ردٍ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخففه عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، وأخذت آيات القرآن تترى وتتابع. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ

---

(١) سيرة ابن هاشم (١/ ١٩١/ ١٩٢).

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧].

لقد أخذت خديجة (رضي الله عنها) تدعو إلى الإسلام بجانب رسول الله ﷺ وبدأت المحن القاسية على المسلمين، ووقفت خديجة كالجبل الأشم ثباتًا وإصرارًا، واختار الله -تعالى- ابنيها القاسم وعبدالله وهما في سن الطفولة فصبرت واحتسبت، ورأت بعينها أول شهيد في الإسلام (سمية) وهي تعاني سكرات الموت على أيدي الطغاة حتى أسلمت الروح لخالقها عزيزة كريمة.

وودعت ابنتها وفلذة كبدها (رقية) زوج عثمان بن عفان (رضي الله عنها) وهي تهاجر إلى الحبشة فرارًا بدينها من أذى المشركين [1].

وهكذا كانت (رضي الله عنها) تستمد من الرسول ﷺ أعظم السلوى وأروع آيات التثبيت والمؤازرة، ولذلك نجدها عندما أعلنت قريش مقاطعتها للمسلمين لتحاصرهم سياسيًا واقتصاديًا، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علقت في جوف الكعبة لم تتردد في الوقوف مع المسلمين في الشعب ثلاث سنين صابرة محتسبة مع الرسول ﷺ وصحبه، الذين وقفوا أمام عنت الحصار المنهك، وجبروت الوثنية العاتية إلى أن تهاوى الحصار أمام الإيمان الصادق والعزيمة التي لا تعرف الكلل [2].

وبعد انهيار الحصار بستة أشهر مات أبو طالب، ثم توفيت خديجة (رضي الله عنها) قبل الهجرة بثلاث سنين [3] .

---

(١) «نساء حول الرسول».

(٢) «نساء حول الرسول».

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٧).

وهكذا كانت خديجة (رضي الله عنها) بحق الزوجة الحكيمة التي تقدر الأمور حق قدرها، وتبذل من العطاء ما فيه إرضاء الله – تعالى- ورسوله ﷺ، وبذلك استحقت أن تبشر ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1]، ولذلك كان ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»[2].



(١) نص الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٤٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٤٣٠).



عائشة بنت أبي بكر الصديق

المبرأة من فوق سبع سماوات

إنها معلمة الرجال، الصديقة بنت الصديق، القرشية، المكية، أم المؤمنين، زوج سيد ولد آدم، وأحب نسائه إليه، وابنة أحب الرجال إليه، المبرأة من فوق سبع سموات.

ثبت في الصحيحين أن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) سأل النبي ﷺ: «أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟».

قال: «عائشة».

قال: «فمن الرجال».

قال: «أبوها» [1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٣٨٤).

إن هذه الصحابية الجليلة قد تتلمذت في مدرسة النبوة مدرسة الإيمان ومدرسة الفرسان، تولاها في طفولتها شيخ المسلمين وأفضلهم، أبوها الصديق، ورعاها في شبابها نبي البشرية ومعلمها، وأكرم البشر وأفضلهم، زوجُها رسول الله ﷺ، جمعت من العلم والفضل والبيان ما جعلها تخلف في التاريخ دويًّا تتناقل أصداءه العصور.

وفي البيت المتواضع بدأت عائشة (رضي الله عنها) حياتها مع رسول الله ﷺ ستظل هذه الحياة الطيبة حديث التاريخ.

إن الزوج هو عمل المرأة الأول، وإن من أكبر غايات المرأة في هذه الحياة أن تكون زوجة، وأن تكون أمًا، لا يغنيها في ذلك شيء ولو حازت مالًا يملأ الأرض، ولو نالت مجدًا ينطح السحاب، ولو بلغت من العلم والرياسة ما تنقطع دونه الأعناق، ما أغناها ذلك كله عن الزواج، ولا محا عن نفسها الميل إليه، وكيف تسعد من تميل عن فطرتها التي جبلت عليها؟ [1].

ولما أقبلت الدنيا على المسلمين أتيت مرة بمائة ألف درهم وكانت صائمة ففرقتها كلها، وليس في بيتها شيء، فلما أمست قالت: يا جارية، هلمي فطري، فجاءتها بخبز وزيت، ثم قالت الجارية: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحمًا بدرهم نفطر عليه. قالت: لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت [2].

وعن تميم بن سلمة عن عروة قال: «لقد رأيت عائشة (رضي الله عنها) تقسم سبعين ألفًا، وإنها لترفع جيب درعها» [3].

(١) «نساء حول الرسول».

(٢) «سيرة أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٧)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٤٧)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٨).

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٢/ ٤٧).

لقد كانت عائشة (رضي الله عنها) زوجًا اهتمت بالتلقي عن رسول الله ﷺ فبلغت من العلم والبلاغة ما جعلها تكون معلمة الرجال، ومرجعًا لهم في الحديث والفقه.

قال الإمام الزهري- رحمه الله- : «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» [1].

وقال هشام بن عروة عن أبيه قال: «لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب - منها، فقالت لها: يا خالة، الطب من أين علمت؟ فقلت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه [2].

وعن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة (رضي الله عنها) تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض [3].

وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين، وقد روى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال، قالت عائشة- وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع (رضي الله عنها).

قال الذهبي في سيره معلقًا : تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٩٢)، و «الإصابة» (٨/ ١٨) ، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٥).

(٢)«حلية الأولياء» (١/ ٤٩، ٥٠).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٣٤٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٦) والحاكم في مستدركه (٤/ ١١).

ندامة كُلية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار (رضي الله عنه) ا. هـ.

وقد قيل إنها مدفونة بغربي جامع دمشق، قال الذهبي: هذا غلط فاحش، لم تقدم (رضي الله عنها) إلى دمشق أصلًا، وإنما هي مدفونة بالبقيع، ومدة عمرها ثلاث وستون سنة وأشهر.

أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذينة الكنانية هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله ﷺ قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين منصرفة (رضي الله عنها) من غزوة بدر، وهي ابنة تسع.

وعائشة (رضي الله عنها) ممن وُلد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدِّين.

وكان تزويجه ﷺ بها إثر وفاة خديجة ، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر، فما تزوج بكرًا سواها، وأحبها حبًا شديدًا كان يتظاهر به؛ قال الذهبي: وحُبه ﷺ لعائشة كان أمرًا مستفيضًا، ألا تراهم كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة قالت: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة. قالت: فاجتمعن صواحبي إلى أم سلمة، فقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فقولي لرسول الله ﷺ يأمر الناس أن يُهدوا له أينما كان، فذكرت أم سلمة له ذلك، فسكت، فلم يرد عليها فعادت الثانية، فلما كانت الثالثة قال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله

ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها.

قال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

وثبت في الصحيحين في كتاب فضائل الصحابي منهما عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».

ومن فضائلها ما أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى يا رسول الله**».

ومن أهم المواقف في حياة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) موقف التهمة الشنيعة التي اتهمت بها (حادثة الإفك) ، ذلك لأن نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات المسلمين تتوسع يومًا بعد يوم لم تسترح، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا- بزعمهم — أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبي ﷺ، وأن يحدثوا في الصف المسلم فرقة وشقاقًا، فرموا أم المؤمنين، الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

لقد كان عبدالله بن أبي بن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام، وطفق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله -تعالى- كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تلحمهم وتكبتهم.

لقد كانت لحادثة الإفك وقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، ومرت عليها وعلى رسول الله ﷺ والبيت البكري الصادق أوقات قاسية حرجة، امتدت إلى شهر من الزمن، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة

الشريفة، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة الصحابي الجليل صفوان بن المعطل الذي رمي بالحديث الآثم، كما وسمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذي يلاحقهم إلى النهاية.

كانت هذه الحادثة في غزوة المريسيع سنة خمس من الهجرة.

وها هي عائشة رضي الله عنها تحدثنا عن هذه الحادثة المؤلمة مفصلة فتقول: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، خرجت معه بعدما نزل الحجاب، وأنا أحمل في هودج، وأُنزل فيه، فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حينئذ، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت حاجتي أقبلت إلى راحلتي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمسته، وحبسني التماسه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم، إنما يأكل العُلقة من الطعام. فلم يستنكروا خفة المحمل حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فأممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إليّ ، فبينا أنا جالسة غلبتني عيني، فنمت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج، فأصبح منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت. فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلَّمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، فأناخ راحلته، فوطىء

على يديها فركبتها. فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك فيّ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول.

فقدمنا المدينة، فاشتكيت شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ، فيسلم، ثم يقول: كيف تِيكم؟ ثم ينصرف، فلذلك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهتُ. فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع[1]، وهو مُتَبَرَّزنا. وكنا لا نخرج إلا ليلًا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر في العرب الأول من التبرز قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالةُ أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثاثة بن المطلب، فأقبلت أنا وهي قِبل بيتي، قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرطها، فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قُلت! أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟! قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قلتُ: وما ذاك؟ فأخبرتني الخبر، فازددت مرضًا على مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تِيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. فأذن

(١) هي مواضع خارج المدينة كانوا يقضون الحاجة فيها واحدها منصع، انظر «لسان العرب» (٨/ ٣٥٦) و«معجم البلدان» (٥/ ٢٠٢)، و«الفالق في غريب الحديث» (٣/ ٤٣٨). و«غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٤١٢)، و«النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٦٥).

لي. فجئت أبوي، فقلت: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيه! هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثّرنَ عليها. فقلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟! فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حتى استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم عنهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا. وأما علي فقال: لم يضيق عليك، والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرًا أغمضها عليه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فيأتي الداجن، فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أبي سلول، فقال وهو على المنبر: **«يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»**. فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمرُ الله، لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد ابن خضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال: كذبت! لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتثاور الحيان: الأوس والخزرج، حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك وليلتي، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح

أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي. فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي ، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم، ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، ولقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد، ثم قال: «**أما بعد، يا عائشة، فإني بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**». فلما قضى مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة- والله يعلم أني بريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني. والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا قول أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثم تحولت، فاضطجعت على فراشي، وأنا أعلم إني بريئة، وأن الله – تعالى- يبرئني ببراءتي، ولكن والله ما ظننت أن الله ينزل في شأني وحيًا يُتلى، ولشأني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما قام رسول الله ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى نزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان

من العرق، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي ينزل عليه، فلما سُري وهو يضحك، قال: «يا عائشة، أما والله لقد برَّأك الله فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله. وأنزل الله – تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ١١ – ٢٠].

قالت: فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أُنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة. فأنزلت: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

قال: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا.

قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري. فقالت: أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا، وهي التي كانت تساميني[1] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله- تعالى- بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[2].

وهكذا أكرم الله -تعالى- المؤمنين بفضله، وردَّ كيد المنافقين إلى نحورهم، ورحم الله الشاعر حين قال على لسان عائشة (رضي الله عنها).

وتكلم الله العظيم بحجتي ... وبراءتي في محكم القرآن
والله في القرآن قد لعن الذي ... بعد البراءة بالقبيح رماني
والله فضلني وعظم حرمتي ... وعلى لسان نبيه برَّاني
والله وبَّخ من أراد تنقُّصي ... إفكًا وسبح نفسه في شاني[3]

وكما تقدم فقد توفيت عائشة (رضي الله عنها) ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان، سنة ثمان وخمسين من الهجرة، وهي ابنة ست وستين سنة، ودفنت بالبقيع[4].

وقد روى الحاكم بسند صحيح أقره عليه الذهبي خبرًا لها عند وفاتها ينبىء بما كان في قلبها من الإيمان والتقوى نسوقه هنا للدرس والعبرة، كما رواه ابن أبي

(١) أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب.
(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)، وأحمد (٦/ ١٩٤)، ومسلم (٢٧٧٠). وانظر الدروس والعبر من هذه الحادثة في «الفتنة – وموقف المسلم منها في ضوء القرآن» «وقفة التاريخ» للمؤلف.
(٣) «نساء حول الرسول».
(٤) انظر «الإصابة» (٤/ ٣٦١) ط. دار صادر.

مليكة أن ذكوان أبا عمرو حدثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنهما يستأذن على عائشة وهي في الموت، قال: فجئت وعند رأسها عبدالله بن أخيها عبدالرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن. قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به ولا إلى تزكيته. فقال عبدالله: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالحي بنيك، يودعك ويسلم عليك.

قالت: فائذن له إن شئت، قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصب وتلقي محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك.

قالت: إيها يا ابن عباس، قال: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ يعني إليه، ولم يكن يحب إلا طيبًا، سقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رسول الله ﷺ ليلقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة، ثم أنزل الله -تعالى- براءتك من فوق سبع سموات، فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تُتلى فيه آناء الليل والنهار.

قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أني كنت نسيًا منسيًا.

إخوتي الكرام: هذه عائشة أم المؤمنين، وزوج سيد المرسلين ﷺ ذكرتها هنا لتتخذ المسلمات المؤمنات من سيرتها دروسًا وعبرًا، فتقتدي بها في أخلاقها وتقواها، وتسير على طريقها.

❁ ❁ ❁



حفصة بنت عمر

الصوَّامة القوَّامة

لم يشهد بدرًا من بني سهم غير رجل واحد هو الصحابي الجليل خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي، وكان من أصحاب الهجرتين، هاجر إلى الجبشة مع المهاجرين الأولين إليها، ثم إلى المدينة، وشهد أحدًا كذلك، ثم مات بعدها في دار الهجرة، من جراحة أصابته في أحد، وترك من ورائه أرملته «حفصة بنت عمر بن الخطاب» (رضي الله عنها)[1].

وتألم عمر لابنته الشابة التي ترملت في الثامنة عشرة من عمرها.

وأوجعه أن يلمح الترمل يغتال شبابها، ويمتص حيويتها، ويخنق صباها، وبدأ يشعر بانقباض أليم كلما دخل بيته، ورأى ابنته في حزنها، فبدا له - بعد تفكير

(١) انظر «الإصابة» (٢/ ٣٤٥)، و (٧/ ٥٨١)، و «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩٢)، و (٤/ ١٨٩) و«حلية الأولياء» (١/ ٣٦١)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢٧)، و «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٣).

طويل- أن يختار لها زوجًا، قد تأنس إلى صحبته، فعرضها على أبي بكر (رضي الله عنه) فلم يجبه بشيء، وعرضها على عثمان فقال: «بدا لي ألاَّ أتزوج اليوم» فوجد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبي ﷺ فقال: **(يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة)** ثم خطبها فزوجه عمر [1].

ولما زوجها عمر لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا تجد عليَّ، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها[2].

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة سنة ثلاث من الهجرة [3]، وأصدقها أربعمائة درهم، وكان ذلك أعظم إكرام ومنة وإحسان لحفصة وأبيها (رضي الله عنهما).

كانت حفصة تحظى بمكانة عالية بين زوجات النبي ﷺ وقالت عنها عائشة (رضي الله عنها): «هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ» [4].

ومن أخبارها ما روته عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير قال: **«لا ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا»** [5].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢٢). وانظر «حلية الأولياء» (١/ ٣٦١)، و«الإصابة» (٧/ ٥٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧).

(٤) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٢)، والمغافير جمع مغفور، وهو: صمغ حلو الطعم كريه الرائحة، انظر «فتح الباري» (٩/ ٣٧٧).

وقد روي أن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل (عليه السلام) وقال: «إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في الجنة»[1].

ولقد كان لحفصة مع أبيها عمر (رضي الله عنها) مواقف عظيمة تدل على زهدهما، وعلى إعراضهما عن الدنيا إعراضًا كاملًا، وتشير إلى صفاء نفس كل منهما، ومن ذلك أن عمر دخل على حفصة ذات يوم فقدمت إليه مرقًا باردًا وخبزًا، وصبت في المرق زيتًا، فقال: أُدمان في إناء واحد، لا أذوقه حتى ألقى الله[2].

وكانت حفصة (رضي الله عنها) ترى والدها وما هو عليه من شدة العيش، فقالت له يومًا: يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوبًا ألين من ثوبك فقال: سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها[3].

ولقد اختيرت حفصة (رضي الله عنها) من بين أمهات المؤمنين بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، لتحفظ النسخة الخطية للقرآن الكريم، وذلك عندما أشار عمر على أبي بكر أن يبادر فيجمع ما تفرق من القرآن في صحف شتى، قبل أن يبعد العهد بنزوله، ويمضي حفظته الأولون، فاستجاب أبو بكر، وجمع المصحف الشريف، وأودعه عند حفصة (رضي الله عنها)[4].

وشهدت حفصة أمجاد أبيها ومآثره، وفتوح الشام والعراق ومصر في عهده.. إلى أن رُوعت وروع المسلمون كافة بالمقتل الفاجع لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بطعنات

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦) وغيرهما، وهو صحيح.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣١٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٧).

(٤) انظر «تاريخ الخلفاء» (٢/ ٧٧)، و«الآحاد والمثاني» (٥/ ٤١٠).

من خنجر أبي لؤلؤة المجوسي، في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وجاءت إليه بعدما طعن، فقالت: يا صاحب رسول الله ﷺ يا صهر رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لا صبر لي على ما أسمع، أحرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا، فأما عينك فلن أملكها [١].

وترك أمر الخلافة للستة أصحاب الشورى من كبار الصحابة، فوليها أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وفي عهده تم توحيد حرف المصحف ورسمه من المصحف المجموع المودع عند حفصة (رضي الله عنها).

توفيت حفصة (رضي الله عنها) في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين، وقيل سنة خمس وأربعين [٢].

وقد روى ابن سعد عن مولاة لآل عمر قالت: رأيت نعشًا على سرير حفصة، وصلى عليها مروان في موضع الجنائز، وتبعها مروان إلى البقيع وجلس حتى فرغ من دفنها [٣].

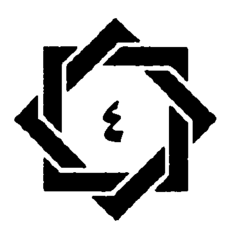


---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٥) وقد صحح ابن حجر إسناده، انظر «فتح الباري» (٧/ ٦٧).

(٢) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٨٢)، و«الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٠٧).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٨٥).



جويرية بنت الحارث

امرأة عظيمة البركة على قومها

إنها أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جُذيمة بن المصطلق من خزاعة [١].

كانت نشأتها في قبيلتها بني المصطلق - وهم حي من خزاعة - وهي ابنة زعيم القبيلة وسيدها الحارث بن أبي ضرار [٢].

زوجها أحد أقاربها وهو مالك بن صفوان ذي الشَّفر بن أبي سرح بن مالك ابن المصطلق [٣]، وقيل اسمه: مسافع [٤].

---

(١) «الإصابة» (٧/ ٥٦٥).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٥/ ٢٩٥)، و (٨/ ٤٩)، و «الإصابة» (٧/ ٥٦٥ و «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٧ و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦٥).

(٣) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٢١٣).

(٤) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٦٦).

وأخوها عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ وهو الذي قال: «والله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وأرضًا جعلها صدقة»[١].

تبدأ قصتها من حين بلغ النبي ﷺ أن بني المصطلق (قوم جويرية) يجمعون الجموع لقتاله بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار (والد جويرية)، وكان لرسول الله ﷺ عيون ينتقلون هنا وهناك، ويبعثون إليه بالأخبار حتى يكون هو وصحبه في مأمن من الغيلة والغدر.

وعليه فقد جاءه ﷺ نبأ استعداد بني المصطلق، وكان من عادته ﷺ في حروبه أن يفاجىء عدوه فخرج إليهم ﷺ ولقيهم على ماء لهم يُسمى المريسيع، فقاتلهم المسلمون، وهزموهم شر هزيمة، وأوقعوا فيهم خسائر جسيمة، وسبوا كثيرًا من نسائهم، وأسروا كثيرًا من مقاتليهم، وجندلوا في الميدان معظم فرسانهم.

وفرَّ الحارث بن أبي ضرار زعيمهم، لكن ابنته جويرية- والتي كانت تسمى برة - وقعت في السبي، وسيقت مع الباقين إلى المدينة.

وعن سبي جويرية وما حدث لها تحدثت أم المؤمنين (عائشة رضي الله عنها) فقالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي، فكرهتها، وعرفت أنه سيرى فيها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا

---

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٤)، و «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٧).

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: **فهل لك في خير من ذلك؟** قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**، قالت: نعم يا رسول الله.

قال: «قد فعلت»، قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم، قلت: فلقد أعتق لتزويجه إياها مائة من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها [1].

قيل وكان عمرها حين تزوجها ﷺ عشرين سنة لما أخرجه ابن سعد عن جويرية قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت عشرين سنة [2].

قيل وكان ترتيبها في أزواجه ﷺ التاسعة بعد زينب بنت خزيمة [3].

وذكر في السيرة أنه حين قدم رسول الله ﷺ المدينة أقبل الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: **«فأين البعيران اللذان**

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٩٥، ٢٩٥)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، وصححه الأرنؤوط، وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ١٥٩)، و (٥/ ٣٠٠)، و (٨/ ٤٩)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٠٩) و«تاريخ خليفة بن خياط » (٢/ ٨٠)، و «الطبقات الكبرى» (٢/ ٦٤)، و (٨/ ١١٦).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٩).

(٣) انظر » طبقات الحنفية» (٢/ ٢٢).

غيبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا»؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت، وحسن إسلامها، فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربع مائة درهم[1].

وقال ابن حجر: «ومن مرسل أبي قلابة قال: سبى النبي ﷺ جويرية يعني وتزوجها فجاءها أبوها فقال: إن بنتي لا يسبى مثلها، فخلّ سبيلها، فقال: أريت إن خيرتها أليس قد أحسنت؟ قال: بلى. فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت: اخترت الله ورسوله». قال ابن حجر: وإسناده صحيح[2].

وقد كانت جويرية ﷺ حريصة على الذكر والدعاء، فعنها قالت: أتى عليَّ رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبح، ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريبًا من نصف النهار فقال: «**أما زلت قاعدة**»؟ قلت: نعم. قال: «**ألا أعلمك كلمات لو عُدلن بهن عدلتهن، أو وُزن بهن وزنتهن**- يعني جميع ما سبحت- **سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه. ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات**»[3].

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٩٥، ٢٩٦) وانظر «الإصابة» (١/ ٥٧٩) قال ابن حجر بعد إيراده نحوًا من هذه الرواية: «ذكر ذلك ابن عائذ في المغازي عن محمد بن شعيب عن عبدالله ابن زياد متقطعًا» ا.هـ.

(٢) «الإصابة» (٧/ ٥٦٦)، وانظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٦)، وابن سعد (١/ ١١٩)، وأحمد (٦/ ٣٢٤)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٥٦٦)، و (٧/ ٥٧١) و «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٩).

كانت وفاة جويرية في سنة خمسين، وقيل: توفيت سنة ست وخمسين[1]، قيل صلى عليها مروان بن الحكم[2] فرضي الله -تعالى- عنها وأرضاها، وأثابها في جنات عدن مقامًا ساميًا.

✿ ✿ ✿

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٣)، و«تاريخ خليفة بن خياط» (٢/ ٢٢٤).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٩).



زينب بنت جحش

أكرم أمهات المؤمنين وليًا وسفيرًا

إنها زينب بنت جحش الخاشعة الراضية، والأواهة الداعية، ملأ ذكر الآخرة مشاعرها ووجدانها فكانت في محراب العبادة والطاعة نموذجًا فريدًا ونبراسًا ساطعًا.

خالها سيد الشهداء، وأسد الرحمن حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه).

وأخوها صاحب أول راية عُقدت في الإسلام، وأول من دعي بأمير المؤمنين، وأحد الشهداء، عبدالله بن جحش (رضي الله عنه).

وأمها عمة رسول ﷺ أميمة بنت عبد المطلب [1].

كانت زينب قد عرض عليها الزواج من زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ بأمر من رسول الله ﷺ ولم تكن راغبة في الزواج من زيد؛ لأنه مولى وهي السيدة الشريفة ذات الحسب والنسب، فنزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤١).

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهنا لم يسع زينب أن تخالف أمر الله -تعالى- ورسوله ﷺ، فامتثلت، وتزوجها زيد بن حارثة، والتزمت زينب بالمبدأ الذي لا يتفاضل فيه الناس إلا بالتقوى.

واستمرت الحياة بينهما إلى أن طلقها زيد، وزوجها الله -تعالى- بنبيه ﷺ بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، قال الله - تعالى-: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ونالت زينب بنت جحش (رضي الله عنها) شرفًا عظيمًا من الله- تعالى- إذ جعلها من أمهات المؤمنين، وأضحت إحدى زوجات النبي ﷺ الطاهرات، وكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات[(١)].

لقد كانت زينب (رضي الله عنها) معروفة بالطيب والتقوى والخلق الكريم فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كانت زينب بن جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ما رأيت امرأة خيرًا في الدين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة (رضي الله عنها).[(٢)]

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٠)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٦٦٨)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ١٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٢٢)، وأحمد (٦/ ١٥١)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٦٦٨).

إن الله زوجها، ونطق وقالت عائشة (رضي الله عنها): يرحم الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف. وإن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أسرعكن بي لحوقًا أطولكن باعًا**». فبشرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة (١).

وعن عائشة -أيضًا- قالت: قال النبي ﷺ لأزواجه: «**يتبعني أطوالكن يدًا**» فكنا إذا اجتمعنا بعده نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعله حتى توفيت زينب، وكانت امرأة قصيرة، لم تكن -رحمها الله- أطولنا، فعرفنا إنما أراد الصدقة.

وكانت صناعة اليد، فكانت تدبغ، وتخرز، وتصدَّق في سبيل الله (٢).

وقال الإمام الذهبي في السير: (قيل إن النبي ﷺ تزوج بزينب في ذي القعدة سنة خمس، وهي يومئذ بنت خمس وعشرين، وكانت صالحة، صوامه قوَّامة، بارَّة، ويقال لها: (أم المساكين))» (٣).

وعن برزة بنت رافع قال: أرسل عمر إلى زينب بعطائها، فقالت: غفر الله لعمر، غيري كان أقوى على قسم هذا، قالوا: كله لك. قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صُبوه واطرحوه عليه ثوبًا، وأخذت تفرقه في رحمها وأيتامها، وأعطتني ما بقي، فوجدناه خمسة وثمانين درهمًا. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا (٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٨) قال الأرنؤوط: وسنده قوي، وانظر السمط الثمين للطبري ص ٩١، و «الإصابة» (٧/ ٦٦٩)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٠٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٧).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢١٤)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (٢/ ٤٤٠).

توفيت زينب بنت جحش (رضي الله عنها) سنة عشرين من الهجرة[١]، وقالت حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، ولعل عمر سيبعث إليَّ بكفن، فإن بعث بكفن فتصدقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا دليتوني أن تصدقوا بحقوي -إزاري- فافعلوا[٢].

رضي الله عن أم المؤمنين زينب بنت جحش فقد كانت خاشعة راضية، وأوَّاهة داعية.



(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٥١٧)، و«الإصابة» (٧/ ٦٦٩)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٥٥)، و (٨/ ١١١).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٠٩).



أم سلمة

أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة

هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر (أم سلمة) صحابية جليلة من المهاجرات الأول، هي بنت عم خالد بن الوليد سيف الله، وبنت عم أبي جهل ابن هشام.

أبوها: سهيل بن المغيرة بن مخزوم سيد قومه بلا منازع، وأغناهم بلا منافس، عرف بالكرم الشديد والسخاء العظيم، ولقب بـ (زاد الراكب).

وأمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة الكنانية من بني فراس الأمجاد، وكان جدها علقمة يلقب بـ (جذل الطعّان)[1].

نشأت هند في بيت عريق أصيل، يجمع المجد من طرفي الجود والشجاعة، وكانت منذ صباها وفتوتها ذات شخصية قوية تفرض احترامها، وكانت من أجمل النساء[2].

---

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٢١)، «الطبقات الكبرى» (٨/ ٨٦).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٢٤).

زوجها: عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم (أبو سلمة) وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي ﷺ، وكان أبو سلمة أخًا للنبي ﷺ من الرضاع، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب[1].

وكان أبو سلمة وأم سلمة من السابقين إلى الإسلام[2].

وحين قامت الدولة الإسلامية في المدينة، وأعلن الجهاد ضد أعداء الملة والدين انضم أبو سلمة إلى صفوف المجاهدين في سبيل الله تحت راية رسول الله ﷺ يخوض غمار المعارك، ويبلي فيها أحسن البلاء، فكان له في بدر صولات وجولات، وعرفته أرض أُحد إذ بلل ثراها دمه الطاهر حيث جرح يومها جرحًا بليغًا كاد يودي بحياته، إلا أن الله -تعالى- شفاه من ذلك مدخرًا إياه ليوم آخر.

وقبل يوم بدر خرج الرسول ﷺ في غزوة ذي العشيرة في جمادي الأولى من السنة الثانية من الهجرة، وهي الغزوة التي وادع فيها بني مدلج، وحلفاءهم بني ضمرة.

واختار رسول الله ﷺ أبا سلمة من بين أصحابه ليكون عامله على المدينة مدة غيابه.

ولما أرجف المرجف لرسول الله ﷺ بالإسلام بعد أحد، وبلغه ﷺأن بني أسد يدعون إلى مهاجمته والمسلمين في عقر دارهم في المدينة عندئذ دعا رسول الله ﷺ أبا سلمة وقال: اخرج في هذه السرية، وعقد له لواءً ، وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد، فأَغِرْ عليهم، وكان معه خمسون ومائة، فساروا حتى انتهى إلى أدنى قطن من مياههم فأخذوا سرحًا لهم، ثم رجع إلى المدينة بعد بضع عشرة ليلة.

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ٩٠).

(٢) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٢٢).

ولما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه الذي أصابه يوم أحد، وقد ظنه من قبل أنه التأم، فمات لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة أربع، وقيل سنة ثلاث[1].

وحزنت أم سلمة (رضي الله عنها) لوفاة زوجها الرجل الصالح، وعند ذلك ذهبت إلى رسول الله ﷺ فقالت: كيف أقول؟ قال:«قولي: **اللهم اغفر لنا وله، وأعقبني منه عُقبى صالحة**» تقول: فقلتها، فأعقبني الله محمدًا ﷺ[2].

وعن عمر بن أبي سلمة أن أم سلمة لما انقضت عدتها خطبها أبو بكر، فردته، ثم عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا، أخبر رسول الله ﷺ أني غَيْرَى، وأني مصيبة، ليس أحد من أوليائي شاهدًا. فبعث إليها: أما قولك: «إني مُصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي».

قالت: ياعمر[3]، قم فزوج رسول الله.

وقال رسول الله ﷺ: «**أما إني لا أنقصك ما أعطيت فلانة، رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف**»، قال عمر: وكان رسول الله ﷺ يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرتها لترضعها، وكان رسول الله ﷺ حييًا كريمًا يستحيي فيرجع، ففعلت ذلك مرارًا ففطن عمار بن ياسر لما تصنع، قال: فأقبل ذات يوم وجاء عمار، وكان أخاها لأمها، فدخل عليها، فانتشطها من حجرها، وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ، فدخلت،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٥٣)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩١)، ومسلم (٩١٩)، وأبو داود (٣١١٥)، والترمذي (٩٧٧)، وابن ماجه (١٤٤٧)، وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٩١)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٨٩).

(٣) تعني ابنها عمر بن أبي سلمة.

فجعل يقلب بصره في البيت يقول: «أين زناب؟ ما فعلت زناب؟» قالت: جاء عمار فذهب بها. قال: فبنى رسول الله ﷺ بأهله، ثم قال: **«إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء»**[1].

قال ابن حجر في هذا الزواج: «تزوجها النبي ﷺ في جمادي الآخرة سنة أربع وقيل سنة ثلاث»[2].

وفي العام السادس للهجرة صحبت أم سلمة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ في رحلته إلى مكة معتمرًا، وهي الرحلة التي صدت فيها قريش نبي الله ﷺ وأتباعه عن دخول البلد الحرام، وتم على أثرها صلح الحديبية.

وكان لأم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) يومئذ دور وموقف، يذكر في مناقبها الفذة. ذلك أن الصحابة دخل عليهم أمرٌ عظيم حين بلغهم أن من شروط الصلح التي اشترطها المشركون ما ذكره سهيل بن عمرو بقوله: (وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك- إلا رددته إلينا). عند ذلك قال الصحابة (رضي الله عنها) سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ : **«إنا لم نقض الكتاب بعد»**. قال: فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا. قال النبي ﷺ: **«فأجزه لي»** قال: ما أنا بمجيزه لك.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٨/ ٩٠)، وأحمد (٦/ ٣١٣)، والحاكم (٤/ ١٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر «الإصابة» (٨/ ٢٢٣)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٠).

(٢) «الإصابة» (٨/ ٢٢٢).

قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. فقال أحد المشركين[1] بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذب عذاباً شديدًا في الله. قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلتُ: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنّاَ نأتيه العام. قال: قلت: لا. قال: إنك آتيه ومطوِّف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال : بل. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوِّف به.

واستفحل الأمر إلى حد منذر بخطر، وذلك حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يقوموا فينحروا الهدي، ثم يحلقوا، فما قام منهم رجل.. ثم دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة ﷺ فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا نبي الله.. أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك، فقام رسول الله ﷺ فخرج ولم يكلم أحدًا من أصحابه كلمة حتى نحر وحلق، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا[2].

---

(١) هو مكرز بن حفص.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٢) ، وأبو داود (٢٧٦٥).

وهكذا كانت أم سلمة (رضي الله عنها) في كثير من المواقف لا تصدر إلا عن نضج وعمق تفكيره، قال ابن حجر: «وكانت أم سلمة موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها»[1].

توفيت (رضي الله عنها) في سنة إحدى وستين بعد أن عاشت نحوًا من سبعين سنة قضتها في التضحية والوفاء والصبر، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتًا[2]، وقيل: كان عمرها أربعًا وثمانين سنة[3].

فرحم الله – تعالى- أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية، المرأة الكريمة، والمؤمنة الصادقة، والوفية الصابرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الإصابة» (٨/ ٢٢٤).

(٢) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٢٤).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٥).



فاطمة بنت رسول الله ﷺ

إنها سيدة نساء العالمين في زمانها، رابعة بنات الرسول ﷺ، أمها أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)، وأبوها سيد ولد آدم، وزوجها سيد في الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

وولداها سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتا رسول الله ﷺ الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، وعمهما سيد الشهداء، وأسد الله، وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه).

وولدت فاطمة في أم القرى، وقريش تجدد بناء الكعبة، وولدت قبل النبوة بخمس سنين، واستبشر رسول الله ﷺ بمولدها، فسماها فاطمة، ولقبها بـ (الزهراء)، وكانت تكنى أم أبيها[1]، وهي شديدة الشبه برسول الله ﷺ.

ونشأت فاطمة في بيت نبوي رحيم، يكلؤها بالرعاية والسهر على تربيتها

---

(١) «الإصابة» (٨/ ٥٣).

لتأخذ قسطًا وافرًا من الأدب والحنان والتوجيه النبوي الرشيد، ومما تتمتع به أمها خديجة (رضي الله عنها) من صفات زكية وسجايا حميدة.

وما كادت الزهراء تبلغ الخامسة من عمرها حتى بدأ التحول الكبير في حياة أبيها، بنزول الوحي عليه، وأحست من الوهلة الأولى بأعباء الدعوة، وشاهدت والدتها تقف إلى جانب أبيها وتشاركه في كل ما يواجهه من أحداث عظام وخطوب جسام.

وشاهدت العديد من مكائد الكفار لأبيها ﷺ فتمنت لو استطاعت أن تفديه بحياتها، وتمنعه من أذى المشركين، ولكن أنى لها ذلك وهي في عمرها الصغير.

كان من أشد ما قاسته من آلام في بداية الدعوة ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه المسلمون مع بني هاشم في شعب أبي طالب، حيث أثر الحصار والجوع على صحتها، وما كادت تخرج من محنة الحصار المهلك حتى فوجئت بوفاة أمها خديجة (رضي الله عنها) فامتلأت نفسها حزنًا وألمًا وأسىً [1].

وفي السنة الثانية من الهجرة تزوج علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فاطمة، وبنى بها، وذلك عقب غزوة بدر الكبرى [2]، واحتفل بنو عبد المطلب الكرام بهذا الحدث السعيد، ونحر حمزة بن عبد المطلب بعض إبله، وأطعم الناس، وانتقلت الزهراء إلى بيت الزوجية الذي في غاية التواضع.

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب ابنته فاطمة ويكرمها ويسرُّ إليها. وغضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن همَّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل فقال:

---

(١) «نساء حول الرسول».

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٠٩).

«والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»[1] فترك علي (رضي الله عنه) الخطبة رعايةً لها. فما تزوج عليها، ولا تسرَّى. فلما توفيت تزوج وتسرَّى[2] (رضي الله عنه).

ولم يمض عام على الزواج المبارك حتى أقر الله -تعالى- عين علي وفاطمة، فوضعت الحفيد الأول لرسول الله ﷺ الحسن بن علي في السنة الثالثة من الهجرة[3]، ففرح به النبي ﷺ فرحًا كبيرًا، وحنَّكه بنفسه وسماه الحسن، وأماط الأذى عن رأسه، وأمر أن يتصدق على الفقراء، بزنة شعره فضة[4]، فلما بلغ الحسن من العمر عامًا وُلد بعده الحسين في شهر شعبان سنة أربع من الهجرة[5].

وتتابع الثمر المبارك فولدت الزهراء في العام الخامس للهجرة طفلة أسماها جدها ﷺ زينب. وبعد عامين وضعت طفلة أخرى هي أم كلثوم.

ومن منزلة فاطمة العالية عند رسول الله ﷺ أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها، تقول عائشة (رضي الله عنها): (ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبَّلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به)[6].

ولقد كانت لفاطمة الزهراء مواقف وضيئة في الجهاد، فقد أثْرت التاريخ بها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٧)، ومسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٦٩)، والترمذي (٣٨٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٩).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤٧).

(٤) رواه أحمد والطبراني، وذكره الهيثمي في المجمع وقال: هو حديث حس.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٠).

(٦) أخرجه أبو داود (٥٢١٧)، والترمذي (٣٨٧١)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٥٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

قدمته من فضائل فواحة بالأريج في مختلف المجالات المباركة.

ففي غزوة أحد أصيب النبي ﷺ في بدنه ووجهه، وتدفق الدم منه، فكانت فاطمة تغسل الدم، وعلي يسكب الماء عليه بالمجن، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير أحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقتها بالجرح، فاستمسك الدم(١).

وتابعت (رضي الله عنها) حياة الجهاد في أماكن أخرى، فشاركت في غزوة الخندق، وفي خيبر، وقسم لها ﷺ في هذه الغزوة خمسة وثلاثين وسقًا من قمح خيبر.

وشهدت غزوة الفتح، وكان لها موقف مشرق مشرف، حيث رفضت أن تجير أبا سفيان بن حرب عندما طلب أن تشفع له عند رسول الله ﷺ وقال لها: هل لك أن تجيري بين الناس؟ فقالت: إنما أنا امرأة. وأبت عليه، فقال لها: مُري ابن الحسن. فقالت: ما بلغ أن يجير(٢). ودخل (رضي الله عنه) والمسلمون مكة، ولما اغتسل ﷺ كانت فاطمة (رضي الله عنها) تستره بثوبه، ثم صلى ثماني ركعات، كما قالت أم هانىء بنت أبي طالب، «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره...»(٣).

ولقد احتملت فاطمة (رضي الله عنها) حياة الفقر، وكابدت من ذلك الشيء الكثير، ولكنها كانت مثالًا للفتاة الصابرة المرابطة.

---

(١) رواه البخاري وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٩) و«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص: ٣٩.

(٢) انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص: ٥٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب التستر في الغسل عند الناس.

ولما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وأرسى قواعد الإسلام، وأكمل الله -تعالى- الدين، مرض رسول الله ﷺ وما إن سمعت فاطمة بذلك حتى هرعت لتوها لتطمئن عليه وهو عند أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها). فلما رآها هش للقائها قائلًا : مرحبا يا بُنيتي، ثم قبَّلها، وأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى جزعها سارها الثانية، فضحكت. فقالت لها -أي عائشة- خصك رسول الله ﷺ من بين سائر نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره.

فلما توفي رسول الله ﷺ قالت عائشة: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟ وأنك أول أهلي لحوقًا بي فضحكت[1].

واشتد الوجع على رسول الله ﷺ فأقامت إلى جانب أبيها تسهر عليه وتخدمه، فلما رأته قد ثقل، وجعل يتغشاه الكرب خنقتها العبرة وقالت بصوت يفيض حزنًا ولوعة.

واكرب أبتاه. فقال لها ﷺ: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات ﷺ جعلت تقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه.

يا أبتاه، جنة الفردوس مثواه.

يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه.

فلما دفن ﷺ قالت: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ [1].

ولم تمضِ على وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر أو قريب منها حتى مرضت فاطمة، وانتقلت إلى جوار ربها ليلة الثلاثاء، لثلاث خلون من شهر رمضان، سنة إحدى عشرة، وهي بنت أربع وعشرين سنة على الصحيح [2].

رحم الله -تعالى- الزهراء، ريحانة سيد ولد آدم، وزوج سيد الفرسان، ورضي الله عنها وأرضاها.

ونختم سيرة فاطمة الزهراء بقصيدة الشاعر الباكستاني محمد إقبال- رحمه الله- (فاطمة الزهراء) والتي يقول فيها:

المجد يشرق من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها!

هي بنت مَنْ؟ هي زوج مَنْ؟ هي أم مَنْ ... من ذا يداني في الفخار أباها؟

هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها

هو رحمة للعالمين، وكعبة الآ ... مال في الدنيا وفي أُخراها

من أيقظ الفجر النيام بروحه ... وكأنه بعد البِلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١ د ١٢٢).

ولـزوج فاطمـة بـسورة «هـل أتـى» تـاج يفـوق الـشمس عنـد ضـحاها
أسـد يحـصن الله يرمـي المـشكلا ت صـيقل يمحـو سـطور دجاهـا
إيوانـه كـوخ وكنـز ثرائـه سـيف غـدا بيمينـه تيّاهـا
في روض فاطمـة نـما غـصنان لم ينجـبهما في النـيرات سـواها
فـأمير قافلـة الجهـاد وقطـب دا ئـرة الوئـام والاتحـاد أبناهـا
هـي أسـوة للأمهـات وقـدوة يترسـم الفخـر المنيـر خطاهـا
حسنُ الـذي صـان الجماعـة بعـدما أمـسى تفرقهـا يحـل عُراهـا
تـرك الخلافـة ثـم أصـبح في الـديا ر إمـام أُلفتهـا. وحـسـن عُلاهـا
وحـسين في الأبـرار والأحـرار مـا أزكـى شمائلـه ومـا أنـداها![1]



(١) «نساء حول الرسول» ص ١٥٧.



رقية بنت رسول الله ﷺ

أمها خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وزوجها كان عتبة بن أبي لهب قبل الهجرة فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب وتب) قال أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنته، ففارقها قبل الدخول وأسلمت مع أمها وأخواتها ثم تزوجها عثمان (رضي الله عنه)، وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعًا، وهاجرت كذلك إلى المدينة بعد عثمان، ومرضت في رمضان قبيل بدر فخلّف عليها النبي ﷺ عثمان، فتوفيت والمسلمون ببدر.

قال الربعي في «مولد العلماء ووفياتهم»[1]: «وكانت وقعة بدر في رمضان، وفيها ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان في شهر رمضان».

وفي مصنف ابن أبي شيبة [2] عن عبدة بن سليمان بن هشام عن أبيه أن رقية بنت رسول الله ﷺ توفيت، فخرج النبي ﷺ إلى بدر، وهي امرأة عثمان، فتخلف

(١) (١/ ٦٨).
(٢) (١/ ٣٥٨).

عثمان وأسامة بن زيد يومئذ، فبينما يدفنونها إذ سمع عثمان تكبيرًا، فقال: يا أسامة، انظر ما هذا التكبير؟ فنظر فإذا هو زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، يبشر بقتل أهل بدر من المشركين، فقال المنافقون: لا والله ما هذا بشيء، ما هذا إلا الباطل حتى جيء بهم مصفدين مغللين.

وفي «الآحاد والمثاني»[1] لأبي بكر الشيباني: «وتوفيت رقية بنت رسول الله ﷺ يوم قدم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ببشرى فتح بدر».

وفي مستدرك الحاكم[2] عن عبدالله بن أبي بكر بن حزام، وصالح بن أبي أسامة بن سهل عن أبيه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من بدر بعث بشيرين إلى أ هل المدينة بفتح الله على نبيه ﷺ فوافق زيد بن حارثة ابنه أسامة حيث سُوي التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ فقيل له: ذاك أبوك حين قدم، قال أسامة: فجئت وهو واقف للناس يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، ونبيه، ومنبه، وأمية بن خلف، فقلت: يا أبتِ ، أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بُني.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وقال عثمان (رضي الله عنه) في معرض رده على من تكلم فيه لما لم يحضر بدرًا: «وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد «قال في مجمع الزوائد»[3]: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باختصار،

---

(١) (٥/ ٣٧٤)، وانظر « الذرية الطاهرة» لأبي بشر الدولابي ص ٥٢.

(٢) (٣/ ٢٤٠).

(٣) (٧/ ٢٢٦)، وانظر المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ للزبير بن بكار ص ٢٩.

والبزار بطوله بنحوه، وفيه عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

وقد نقل ابن حجر -رحمه الله- «في فتح الباري» عن الأنساب للبلاذري أن ابنًا لرقية من عثمان مات في حياة النبي ﷺ، فوضعه النبي ﷺ في حجره، وقال: **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»**[1].

وقال ابن حجر كذلك: «وقد نقل يعقوب بن سفيان عن الزهري أنه كان يكنى أبا عبدالله بابنه عبدالله الذي رزقه من رقية بنت رسول الله ﷺ، ومات عبدالله المذكور صغيرًا وله ست سنين، وحكى ابن سعد أن موته كان سنة أربع من الهجرة[2].

ها هنا تنبيهان:

التنبيه الأول: ما أورده ابن بشكول المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في كتابه «غوامض الأسماء المبهمة»[3] عن أنس قال: لما ماتت رقية قال النبي ﷺ: **«لا يدخل القبر رجل قارف أهله»** يعني الليلة فلم يدخل عثمان القبر.

ومعنى المقارفة «أي المخالطة كما في القاموس[4]»، والمراد هنا الجماع. قال ابن بشكوال: قال البخاري: لا أدري ما هذا؟ النبي ﷺ لم يشهد رقية، وذكر البخاري أيضًا عن أنس بن مالك قال: شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل فيكم من أحد لم يقارف

(١) «فتح الباري» (٣/ ١٥٦).
(٢) المرجع السابق (٧/ ٥٤).
(٣) (١/ ١٥٢، ١٥٣).
(٤) ص ١٠١٩ ، مادة (قرف).

الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله، فنزل في قبرها. وأضاف ابن بشكوال: قال أبو عمرو بن عبدالبر: هذا هو القول الصحيح في حديث أنس لا قول مَنْ ذكر فيه رقية، ولفظ حديث حماد بن سلمة منكر مع ما في ذلك من الوهم في ذكر رقية».

• **والتنبيه الثاني**: ما ذكره الذهبي في سيره عند إيراده حديث ابن عباس قال: لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال: الحَقي بسلفنا عثمان بن مظعون. فبكت النساء عليها، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده، وقال: «**دعهنَّ يبكين**»، ثم قال: «**ابكين وإياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان**» فقعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب رسول الله ﷺ فجعلت تبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الدمع عن عينها بطرف ثوبه، قال الذهبي[1] بعد إيراده هذا الحديث: «قلت: هذا منكر، وقال ابن سعد: ذكرته لمحمد بن عمر، فقال: الثبت عندنا من جميع الرواية أن رقية توفيت ورسول الله ﷺ ببدر، فلعل هذا في غير رقية أو لعله أتى قبرها بعد بدر زائرًا. ا.هـ.

قلت: وأما عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) فلا يشك أحد في فضله، كيف لا وهو من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم ﷺ، فصلى عليهم، بل ثبت عنه[2] ﷺ أنه قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خد عثمان، كما في كتاب الجنائز من سنن الترمذي، وابن ماجه، ومسند البزار، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر السير بتحقيق شعيب الأرنؤوط (٢/ ١٥٩).

كانت تلك إخوتي الكرام لمحة موجزة عن الصحابية الجليلة رقية بنت رسول الله (رضي الله عنها) ذكرتها هنا في سير الصحابيات لتسير نساء المسلمات على طريقها صابرات مجاهدات متعبدات، والله ولي التوفيق.





أسماء بنت أبي بكر

ذات النطاقين

صحابتنا هذه جمعت من المجد أطرافه كلها، فأبوها صحابي، وأختها صحابية، وزوجها صحابي، وابنها صحابي، وحسبها بذلك شرفًا وفخرًا، فأبوها الصديق أبو بكر، وجدها أبو عتيق، والد أبي بكر، وأختها أم المؤمنين عائشة، وزوجها الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وابنها عبدالله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين.

ولدت أسماء في بيت علم وكرم وحسب ونسب، أمها قتيلة بنت عبد العزى، تزوجها أبو بكر في الجاهلية، فأنجبت له أسماء وعبدالله ثم طلقها قبل الإسلام وبقيت في جاهليتها مدة ثم أسلمت بعد الفتح[1].

وشهدت أسماء فجر الدعوة، وبداية الانطلاقة، وعاشت مع أبيها أذى المشركين، وحملت لواء الدعوة بيدها وقلبها ومشاعرها.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٨)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٥٢).

ولقد كانت مشاهد التربية الإيمانية الحقة تتكرر على مرأى ومسمع من أسماء، فقد رأت كيف وقف أبوها وحده في وجه زعماء قريش ومن معهم من عشائر وقبائل ليدافع عن رسول الله ﷺ قائلًا: «أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله»، فيتركون رسول الله ﷺ ويقبلون على أبي بكر(١). فكيف لا تتربى بعد ذلك على الشجاعة والصمود من أجل الحق.

لقد عاشت أسماء مع المسلمين الأوائل حياة الصبر والجهاد، والمحنة العظيمة، وتحملت الأذى، وصبرت على البأساء، ورأت ما يفعله كفار قريش بالمسلمين، فكم مرة رأتهم وهم يجرون المستضعفين من المسلمين إلى رمضاء مكة وحولهم العبيد والصبيان، يذيقونهم ألوان العذاب، ولكنها لا تزداد إلا يقينًا وثباتًا.

وكلما أشرقت شمس يوم جديد تعمقت جذور الإيمان في نفسها، وها هي تحدثنا عن موقف من مواقف جهادها في أول طريق الدعوة، تقول: صنعت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يهاجر، فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطهما به، فقلت لأبي: ما أجد إلا نطاقي، قال: شقيه باثنين، فاربطي بهما. قالت: فلذلك سميت ذات النطاقين(٢).

ولقد تزوجت أسماء (رضي الله عنها) من الصحابي الجليل الزبير بن العوام قبل الهجرة، وهو ابن عمة رسول الله صفية بنت عبد المطلب.

ولم يكن الزبير غنيًا بل كان فقيرًا لا يملك من متاع الدنيا إلا قليلًا، لكن أسماء رضيت به زوجًا، وكيف لا ترضى به، وهو ابن الدعوة الذي شهد فجرها كما شهدته هي، وأصبح أمر الإسلام الهم الذي يحمله.

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٦٧).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٩).

لقد كان بيتها وبيت الزبير بيتًا من بيوت الإيمان، نشأت فيه شجرة التقوى، وتجلت فيه القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة.

ورغم فقر الزبير فقد كانت أسماء امرأة سخية، باذلة اليد، فكانت تقول لبناتها وأهلها: «أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إذا انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن لم تجدن فقده»(١).

وقال ابنها عبد الله (رضي الله عنه): ما رأيت امرأة أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعة، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئًا لغد(٢).

ولقد عُمرت أسماء (رضي الله عنها) زمنًا طويلًا حتى بلغت مائة عام وزيادة، ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل، وكف الله بصرها بعدما بلغت من الكبر عتيًا فصبرت واحتسبت لتنال أجرها من لدن الحكيم الخبير(٣).

ولئن نسي التاريخ لأسماء شيئًا فإنه لم ينس لها ذلك الموقف العظيم مع ابنها عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) والحجاج بن يوسف الثقفي.

ذلك أنه لما مات يزيد بن معاوية استفحل الأمر لعبدالله بن الزبير، وبويع بالخلافة في جميع البلاد، ولكن مروان بن الحكم عارضه، وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير، ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان، وأرسل إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير وأخذها، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير مكة قريبًا

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٥٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٢)، وقد كانت هذه الصفة مما أخذته هذه الصحابية المؤمنة من رسول الله ﷺ، انظر «البداية والنهاية» (٦/ ٥٤)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ٩٧).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٨٩)، و (٣/ ٣٨٣).

من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء ، السابع عشر من جمادي الأولى، سنة ثلاث وسبعين.

قال عروة بن الزبير (رضي الله عنه): دخلت أنا وأخي قبل أن يقتل، على أُمنا بعشر ليال وهي وجعة، فقال عبدالله: كيف تجدينك؟ قالت : وجعة. قال: إن في الموت لعافية. قالت: لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل، وضحكن، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك، إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني. إياك أن تُعْرض على خطة فلا توافق عليها، فتقبلها كراهية الموت[1]. ولما أراد أن يودعها نادته إليها وقبلته وضمته فأحست بدرع على صدره، فقالت: ما هذا؟ ليس هذا لمن يريد الشهادة؟.

قال: والله ما لي به من حاجة إلا مخافة عليك، قالت: انزعه، قال: يا أمه إني أخاف أن يمثلوا بي. قالت: «يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها».

وودَّعت أسماء ابنها، ثم أسلمت نفسها لله، ورفعت يديها إلى الحي القيوم، وهي تقول: اللهم ارحم ذلك القيام، وذلك النحيب، والظمأ في الهواجر، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فقابلني بعبد الله بثواب الصابرين الشاكرين[2].

وخرج عبدالله بن الزبير إلى المسجد الحرام بمكة، وبات يصلي طوال ليلته. ثم جلس فاحتبي بحميلة سيفه فأغفي، ثم انتبه مع الفجر. ثم أذن وتوضأ، فصلى ركعتي الفجر، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ثم قرأ سورة (ن) حرفًا حرفًا، ثم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٣٠)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٥٣٩). و«المنتظم» لابن الجوزي (٦/ ١٢٦).

سلم، فحمد الله -تعالى- وأثنى عليه، وحرض أصحابه على القتال، ثم نهض وحمل وحملوا، فجاءته آجرة فأصابته في وجهه فارتعش لها، فلما وجد سخونة الدم يسيل من وجهه قال:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدما

ثم سقط على الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه، وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجدًا، وارتجت مكة بالبكاء عليه (رضي الله عنه)"[1].

وخطب الحجاج الناس فقال:

أيها الناس: إن عبدالله بن الزبير كان خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازعها أهلها، وألحد في الحرم، فأذاقه الله من عذابه الأليم، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير، وكان في الجنة وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة أخرج منها. قوموا إلى صلاتكم، فقام له عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) فقال: أما والله لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله، بل كان قوّامًا صوَّامًا عاملًا بالحق.

ثم بعث الحجاج برأسه إلى عبدالملك بن مروان، وصلبه منكسًا في ثنية الحيوان، فجاءته أمه حتى وقفت عليه، فدعته له طويلًا ثم انصرفت، فجاءه عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) فوقف عليه فقال:

السلام عليك يا أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صوامًا قوامًا وصولًا

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ٣٣١)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٥٤١)، و«أخبار مكة» (٢/ ٣٥٩)، و «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٥٨).

للرحم، أما والله لأمة أنت شرها، لأمة خير كلها، ثم التفت إلى أصحابه وقال: أما آن لهذا الراكب أن ينزل[١] ؟ !

ويروى أن الحجاج لما قتل ابن الزبير دخل على أسماء وقال لها: يا أمه، إن أمير المؤمنين وصاني بك فهل لك من حاجة؟ قالت: لستُ لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، وما لي من حاجة... [٢]

وعن يحيى بن يعلى التيمي عن أبيه قال: دخلت مكة بعد قتل ابن الزبير بثلاث -وهو مصلوب- فجاءته أمه عجوز طويلة عمياء، فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن ينزل؟ فقال: المنافق؟ قالت: والله ما كان منافقًا، كان صوامًا قوَّامًا برًا. قال: انصرفي يا عجوز، فقد خرفت. قالت: لا -والله- ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « في ثقيف كذَّاب ومبير... »[٣].

وعن ابن أبي مليكة قال: دخلت على أسماء بعدما أُصيب ابن الزبير، فقالت: بلغني أن هذا صلب عبدالله، اللهم لا تمتني حتى أوتى به، فأحنطه وأكفنه.

فأتيت به بعد، فجعلت تحنطه بيدها، وتكفنه بعدما ذهب بصرها، وصلت عليه، وما أتت عليه جمعة إلا ماتت[٤].

وهكذا انتهت حياة أسماء بنت أبي بكر الصديق، أم عبدالله بن الزبير، وزوج

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٤).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٠) مختصرًا، ونسبه للطبراني وضعفه بيحيى بن يعلى التيمي أبي المحياة. فأخطأ لأن يحيا أبا المحياة ثقة من رجال مسلم، انظر «تقريب التهذيب» ص ٥٩٨، وانظر موقفًا مشابهًا لهذا في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤١).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٥).

حواري رسول الله ﷺ وذات النطاقين.

انتهت حياتها، وانتقلت إلى جوار ربها لتترك للمؤمنات دروسًا خالدة، ومواعظ غالية، وستظل -مهما تعاقب الزمان- تذكر بالجهاد والصبر والتقوى، وسيظل لها لقب «ذات النطاقين».

فرضي الله -تعالى- عنها وعن أبيها، وزوجها، وأبنائها في الخالدين، وألحقنا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.





أسماء بنت عميس

مهاجرة الهجرتين

إنها أسماء بنت عميس بن معد الخثعمية، زوج المجاهد الشهيد جعفر بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ.

أسلمت قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وفي مكة تلقت أسماء وزوجها نصيبهما من الأذى والاضطهاد، فصبرت وجاهدت حتى أُذن بالهجرة إلى الحبشة، فخرج عدد من الصحابة مع أزواجهم، وخرجت أسماء بنت عميس في صحبة زوجها جعفر بن أبي طالب أمير المجاهدين في أرض الحبشة حيث لبثا بها عدة سنين، فولدت له هناك عبدالله وعونًا ومحمدًا [١].

ومن المواقف المشرفة لأسماء (رضي الله عنها) موقفها حين قدمت من الحبشة فقال لها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): يا حبشية سبقناكم بالهجرة، فقالت:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٣)، وانظر «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٦١).

لعمري لقد صدقت: كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البُعداء الطرداء. أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله ﷺ فأتته فقال ﷺ.

«للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان»(١)، تقول أسماء كما في رواية مسلم(٢): فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ قال أبو بردة ، فقالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

ومن المواقف المحزنة التي مرت بها أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) موقفها يوم قُتل زوجها جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنها) في مؤتة، فقد أخبر الله -تعالى- رسوله ﷺ بما حدث عن طريق الوحي، وصعد رسول الله ﷺ المنبر في المدينة، وأخبر بمصير جعفر وصاحبه زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة (رضي الله عنه)، واستغفر لهم، وذرفت عيناه على جعفر، فذهب إلى بيته ودعا بأولاده وقربهم منه وقبَّلهم، وكان المشهد مؤثرًا ، ذكرته أسماء فقالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فدعا بني جعفر، فرأيته شمهم، وذرفت عيناه. فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: «**نعم قتل اليوم**» فقمنا نبكي، ورجع فقال: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا فإنه قد جاء ما يشغلهم**»(٣)، وفي رواية أحمد : «**لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**».

---

(١) أخرجه ابن سعد (٨/ ٢٨١)، والبخاري (٤٢٣٠) و (٤٢٣١)، ومسلم (٢٥٠٣)، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٠٢)، و«مسند البزار» (٨/ ١٢٣) ومسند أحمد (٤/ ٤١٢)، ومسند الطيالسي (١/ ٧١)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ١٤٠).

(٢) (٤/ ١٩٤٦).

(٣) أخرجه ابن سعد (٨/ ٢٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٧٠)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠) و (١٦١١). وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

وبعد مقتل جعفر تزوج أسماء أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فولدت له محمدًا وقت الإحرام [1]، فحجت حجة الوداع ، ثم توفي الصديق (رضي الله عنه) فغسلته [2].

وبعد وفاة الصديق (رضي الله عنه) تزوجها علي بن أبي طالب [3] (رضي الله عنه).

وقد ورد أن أسماء (رضي الله عنها) هي التي دلت عمر (رضي الله عنه) على ستر زينب بنت جحش لما ماتت وذلك في النعش في القبة وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر [4].

وروى ابن جرير [5] عند قوله -سبحانه-: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] عن السدي قال: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات، قالت أسماء بنت عميس ﷺ: حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلّى له جبريل فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن ، فبركت فأتيته فسحبت عليه بردًا كان عليَّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٦٩) كتاب الحج باب إحرام النساء وانظر « المنتقى لابن الجارود» (١/ ١٢١) وصحيح ابن خزيمة (٤/ ١٧٦) ومسند أبي يعلى (١٢/ ١٠٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٣)، وقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٦١١٧) أن تغسيلها لأبي بكر كان بوصية منه، وانظر «مستدرك الحاكم» (٣/ ٦٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٤٥٥) والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٣٨٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٣).

(٤) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٣٠) ومصنف عبد الرزاق (٣/ ٤٣٨).

(٥) جامع البيان ٤/ ٤١٩ ط دار الفكر.

قلت: هذا دليل فضلها، وهو منقبة من مناقبها إن صح، لعنايتها برسول الله ﷺ.

ومن أخبارها ما رواه الترمذي عن أسماء نفسها قالت: يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقي لهم، فقال: نعم، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين [1].

ومن مواقفها ما أخرجه أحمد في مسنده [2]، من حديث معدان بن أبي طلحة اليعمري في قصة رؤيا عمر أنه يقتل وذلك في قوله ﷺ: «**رأيت رؤيا لا أراها إلا حضور أجلي، رأيت كأن ديكًا نقرني نقرتين وذكر أنه ديك أحمر**»، وأنه قصها على أسماء بنت عميس ففسرتها له، تقول الرواية : «فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر (رضي الله عنه) فقالت: يقتلك رجل من العجم» وقد صدق تفسيرها، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وهو من العجم.

رحم الله -تعالى- الصحابية المؤمنة أسماء بنت عميس، ورضي الله عن مهاجرة الهجرتين، ومصلية القبلتين، وغفر لها ورحمها، وأسكنها فسيح جناته.. آمين.

تنبيهان:

١- ورد عن أسماء بنت عميس أنها قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ...الخ. قال الهيثمي في المجمع [3]: رواه أحمد

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، وذكره الألباني في صحيح سُنن الترمذي، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٩)، وانظر التمهيد (٢/ ٢٧٦).

(٢) (١/ ١٥)، وانظر «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٥٠٥).

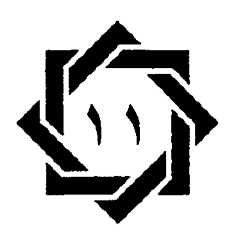
(٣) (٤/ ٥١).

والطبراني... إلا أن أسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر حين تزوج النبي ﷺ عائشة والصواب حديث أسماء بنت يزيد، ورواه الطبراني في الصغير وإسناده ضعيف ا. هـ.

٢- ورد عن أسماء أنها قالت لرسول الله ﷺ ذات مرة لما سألها عن تخلفها: أنا التي أحرس ابنتك فاطمة، وأن الرسول ﷺ قال لها: **فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك، ومن خلفك** هذا الحديث رواه الطبراني كما قال الهيثمي ولكن ليس بصحيح لأن فيه يحيى بن يعلى وهو متروك[1].



(١) انظر «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٠٨).



أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

المبايعة الصادقة

إنها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية واحدة من النسوة المؤمنات صاحبات المجد والشرف والدين، نعتها أبو نعيم فقال: «منهن الأنصارية أسماء بنت يزيد بن السكن، النابذة لما يورث الغرور والفتن[1]».

أسلمت في السابقين من الأنصار على يد مصعب بن عمير، مصعب الخير الذي انطلق من خير دور الأنصار، دار بني عبد الأشهل قوم سعد بن معاذ (رضي الله عنه) ذلك الصحابي الجليل الذي كان إسلامه بركة على قومه، حيث رُوي أنه يوم أسلم ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٧٦).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٥٣).

وأسماء هذه هي بنت عمة معاذ بن جبل الصحابي الجليل (رضي الله عنه)[1].
ويلتقي نسبها مع نسب سعد بن معاذ (رضي الله عنه) في جدهما امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل[2].

وأسماء بنت يزيد نموذج رائع من النساء اللاتي كن يسألن رسول الله ﷺ عن أمور دينهن، لتصل إلى طريق الصواب، وتسلك جانب الخير، ولذلك وصفت بأنها كانت من ذوات العقل والدين، وأنها خطيبة النساء[3].

روت أسماء بنت يزيد قالت: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي، فسلَّم علينا وقال: «إياكن وكفر المنعمين».

تقول: كنت من أجرئهن على مسألته، فقلتُ:

يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟

قال: «لعل إحداكن تطول أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضب فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط»[4].

ولأسماء (رضي الله عنها) مكانة خاصة في نفس أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فهي التي زينتها يوم زفافها إلى رسول الله ﷺ وأدخلتها عليه، وأصبحت بعد ذلك تدعى أسماء عائشة[5].

---

(١) انظر «الآحاد والمثاني» (٦/ ١٢٨)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٦).
(٢) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٢٥).
(٣) انظر «الإصابة» (٧/ ٤٩٨).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند (٦/ ٤٥٨)، وانظر مقالة لها في «تاريخ واسط» (٢/ ٧٦).
(٥) «الإصابة» (٧/ ٥٢٥).

ولقد نشأت أسماء (رضي الله عنها) في أسرة عُرف أفرادها بالتضحية والجهاد منذ أن أعلنت كلمة التوحيد، ومنذ أن صادف نور الإيمان قلوبهم الصافية خالية، فتمكن منهم.

ولقد كان لأسرتها باع طويل في الجهاد ، ففي غزوة أحد قُتل أبوها يزيد بن السكن، وعمها زياد بن السكن، وأخوها عامر بن يزيد، وابن عمها عمارة بن زيادة بن السكن[1].

وشهدت أسماء كثيرًا من الأحداث المهمة في الإسلام، وكانت تشارك فيها، فحضرت غزوة الخندق، وخرجت مع النبي ﷺ إلى الحديبية، وبايعت بيعة الرضوان، ثم شاركت في غزوة خيبر[2].

ولم تتوقف أسماء عن الجهاد، فما إن أقبلت السنة الثالثة عشرة من الهجرة حتى خرجت إلى بلاد الشام لتأخذ مكانها في جيش المسلمين في اليرموك لتسقي العطشى وتضمد الجرحى، ولم يكن عملها مقتصرًا على ذلك، بل انغمرت في الصفوف، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا إلى أن توفيت في زمن يزيد بن معاوية[3].

- رضي الله عنها وأرضاها -.



(١) انظر «الإصابة» (٢/ ٥٨٤)، و (٣/ ٥٨١، ٦٠٥)، و (٤/ ٦٩٨).

(٢) انظر «سير الأعلام» (٢/ ٢٩٧)، و «الإصابة» (٦/ ٦٦٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٧)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ١٢٨)، و «الإصابة» (٧/ ٤٩٨)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣١٩).



أمامة بنت أبي العاص

الكريمة بنت الكريمة

أمامة بنت أبي العاص بن الربيع القرشي حفيدة رسول الله ﷺ التي عاشت يتيمة ففازت بشرف القرب من رسول الله ﷺ ونيل حبه وعطفه.

فأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وجدتها لأمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين في زمانها، وأول من آمن بالنبي ﷺ وصدقه قبل كل أحد[١].

وأبوها أبو العاص بن الربيع صهر النبي الكريم ﷺ وزوج ابنته زينب، وابن أخت خديجة أم المؤمنين، كان قد أُسر يوم بدر فأُطلق بلا فداء كرامة لرسول الله ﷺ بسبب زينب، ثم أسلم قبل فتح مكة، وحسُن إسلامه[٢]، وتوفي في خلافة الصديق (رضي الله عنه)[٣].

---

(١) انظر «الإصابة» (٣/ ٣٠)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٠).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ١).

(٣) المرجع السابق.

ولدت أمامة (رضي الله عنها) في حياة جدها رسول الله ﷺ، ورضعت الإيمان من أمها زينب ، وصنعت على عينها، حيث غذتها بزاد التقوى، وفطمتها على الصلاح، فكانت أمامة بذلك كريمة النشأة والأصل، ولذا فقد كان ﷺ يأنس بها، ويهش لها، وأحلها من قبله الشريف مكانًا رحبًا، ومن عطفه حنانًا يروي النفوس ويغذي الأفئدة.

ولم تطل مدة حياة زينب (رضي الله عنها) حيث توفيت في السنة الثامنة، تاركة ابنتها أمامة التي لم تبلغ الحلم بعد، وكان فراق زينب أليمًا على رسول الله ﷺ وعلى ابنتها الصغيرة، ودخل ﷺ على النساء وهن يغسلن زينب (رضي الله عنه) فقال: (**أغسلنها ثلاثًا أو خمسًا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من الكافور، فإذ فرغتن فآذنني**).

فلما فرغن آذنَّ رسول الله ﷺ فأعطانا حقوه فقال: (**أشعرنها إياه**)(١). وصلى عليها رسول الله ﷺ ثم دفنت في البقيع (رضي الله عنها).

ولقد لقيت أمامة من النبي ﷺ الرعاية، وكان يرحمها ويعطف عليها فكان يحملها حتى في الصلاة، فعن أبي قتادة صاحب رسول الله ﷺ قال: بينما نحن ننتظر رسول الله ﷺ في الظهر أو العصر، وقد دعا بلال للصلاة، إذ خرج إلينا، وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عنقه، فقام رسول الله ﷺ في مصلاه، وقمنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه. قال: فكبر فكبرنا. حتى إذا أراد رسول الله ﷺ أن يركع أخذها فوضعها، ثم ركع وسجد حتى إذا فرغ من سجوده، قام فأخذها فردها في مكانها، فلما زال رسول الله ﷺ يصنع بها ذلك في كل ركعة حتى

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤٢).

فرغ من صلاته[١].

ولما توفي أبو العاص بن ربيع سنة اثنتي عشرة للهجرة، كان قد أوصى بابنته أمامة إلى ابن خاله الزبير بن العوام وقد زوجها الزبير من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد وفاة خالتها فاطمة (رضي الله عنها) وذلك في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٢] وولدت له[٣]، فلما قُتل علي (رضي الله عنه) تأثرت أمامة لمقتله، وقالت أم الهيثم النخعية تصف حزن أمامه:

أشاب ذؤابتي وأذل ركبي ... أمامة حين فارقت القرينا

تطيف به لحاجتها إليه ... فلما استيئست رفعت رنينًا[٤]

وعاشت أمامة بعد علي حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ثم توفيت عنده بعد أن ولدت له يحيى بن المغيرة، وكانت وفاتها في عهد معاوية بن أبي سفيان[٥].



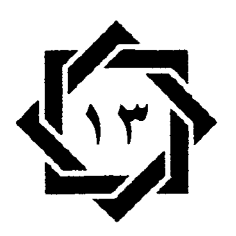
(١) أخرجه البخاري (٥١٦) و (٥٩٩٦)، ومسلم (٥٤٣)، وأبو داود (٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠)، وانظر «أخبار مكة» (٣/ ٢٨٠)، و«الإصابة» (٧/ ٥٠٢)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٣٣)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» الجزء السابع.

(٢) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٠٢)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٣٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٥).

(٤) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٠٣).

(٥) المرجع السابق (٧/ ٥٠٣)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٣٣) و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٥).



أميمة بنت صبيح

أمُّ سيد الحفاظ

نحن الآن مع صحابية كريمة، أنجبت أعجب رجال الدنيا في الحفظ، وأكثر الصحابة رواية للحديث [١]. إنه الفقيه المجتهد الحافظ أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحافظ الإثبات، الذي قال فيه أهل العلم : «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره» [٢].

وقد نشأ أبو هريرة يتيمًا حيث توفي والده وهو صغير، وعاش في كنف أمه أميمة بنت صبيح بن الحارث، والتي تعرف بـ أم أبي هريرة.

وقد قدم أبو هريرة على النبي ﷺ مسلمًا في المحرم من سنة سبع للهجرة، ولكن أمه- التي نتحدث عنها- رفضت أن تسلم وتنضوي تحت لواء المؤمنات،

---

(١) بلغت مروياته (٥٣٧٤) حديثًا.

(٢) انظر: «تلخيص الحبير» (١/ ٢٤)، و «الإصابة» (٧/ ٤٣٢)، «السنن الكبرى» للبيهقي (١/ ٢٤١)، و«صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ٦٨).

وظلت على شركها مدة، حتى جاء أبو هريرة يومًا إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه بثه وحزنه، وما يؤلمه، وحدَّث بذلك (رضي الله عنه) فعن أبي كثير السحيمي يزيد بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو هريرة قال: والله ما خلق الله مؤمنًا يسمع بي إلا أحبني. قلت: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أ بكي، فأخبرته، وسألته أن يدعو لها ، فقال: **«اللهم اهد أم أبي هريرة»**. فخرجت أعدو أبشرها، فأتيت فإذا الباب مُجافٌ، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشف رجلي، فقالت: كما أنت، ثم فتحت، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فأخبرته، وقلت : ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين. فقال: **«اللهم حبِّبْ عبيدك هذا وأمَّه إلى عبادك المؤمنين. وحببهم إليهما»** [1]. وهكذا قرت عينا أبي هريرة بإسلام أمه، وما سمع به أحد أو رآه أو عرف أمه إلا ويحبهما.

ولقد كان لأميمة بنت صبيح أم أبي هريرة منزلة كبرى في نفس ابنها أبي هريرة، وكان يفخر بها [2]، يدل على ذلك قصته التالية مع عمر بن الخطاب (رضي

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٩، ٢٢٠)، ومسلم (٢٤٩١)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٤٣٥)، و«الطبقات الكبرى» (٤/ ٣٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (١٦/ ١٠٧) ومستدرك الحاكم (٢/ ٦٧٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٥/ ٤٠)، و«الفردوس بمأثور الخطاب» (١/ ٥٠٢)، و«غوامض الأسماء المبهمة» (١/ ٤٧٨)، و«شرح الزرقاني» (٤/ ٣٩٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦٨٧).

(٢) انظر «الإصابة» (٧/ ٥١٢) و«فتح الباري» (٥/ ١٧٦).

الله عنه)، فقد استعمل عمر أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟

فقال أبو هريرة: فقلت: لستُ بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما.

قال: فمن أين هي لك؟ قلتُ: خيل نُتجت، وغلة رفيق لي، وأُعطيته تتابعت.

فنظروا، فوجدوا كما قال: فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليوليه، فأبى. فقال: تكره العمل، وقد طلب العمل من كان خيرًا منك، يوسف (عليه السلام)! فقال: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة، وأخشى ثلاثًا واثنتين. قال: فهلّا قلت: خمسًا؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي"[1].

موقف عظيم:

نقف هنا مع أبي هريرة وأمه لنرى ميزتين عظيمتين في هاتين الشخصيتين الكبيرتين، هذا الموقف هو أن أبا هريرة (رضي الله عنه) كان إذا غدا من منزله لبس ثيابه ثم وقف على باب أمه فيقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته فترد عليه مثل ذلك، فيقول جزاك الله عني خيرًا كما ربيتني صغيرًا، فتقول: وأنت يا ابني، فجزاك الله عني خيرًا كما بررتني كبيرة ثم يخرج فإذا رجع قال مثل ذلك فانظر -يا رعاك الله- إلى تعظيم هذا الصحابي الجليل لحق والدته، وانظر إلى تقدير الأم لهذا البر.

ولقد كانت أم أبي هريرة (رضي الله عنها) مثالًا يحتذى في مجال الجود

---

(١) أخرجه البلاذري في «فتوح البلدان» برقم (٢٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٥١٢).

والكرم، حيث كان أبو هريرة يكرم ضيوفه من طعامها (رضي الله عنه)، ففي الأدب المفرد للإمام البخاري أن أبا هريرة (رضي الله عنه) كان ذات يوم جالسًا مع حميد بن مالك بن خثيم في أرض أبي هريرة بالعقيق فأتاه قوم، فنزلوا عنده. قال حميد: فقال: اذهب إلى أمي فقل: إن ابنك يقرئك السلام، ويقول: أطعمينا شيئًا. قال: فوضعت ثلاثة أقراص في الصحفة، وشيئًا من زيت وملح، ووضعتها على رأسي، فحملتها إليهم.

فلما وضعته بين أيديهم كبَّر أبو هريرة، وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز، بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين: التمر والماء...»[1].

رحم الله – تعالى- الصحابية الجليلة أميمة بنت صبيح وابنها أبا هريرة اليماني، وأسكنهما الجنة دار الأبرار المتقين.



(١) الأدب المفرد (٥٧٢)، و«موطأ مالك» (٢/ ٩٣٣)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦١٠)، و «تهذيب الكمال» (٧/ ٣٩٠).



جميلة بنت سعد بن الربيع

ابنة النقيب الشهيد

نحن الآن مع سيرة صحابية استشهد أبوها في غزوة أحد، وكانت أمها حاملًا بها [١].

إنها جميلة بنت سعد بن الربيع (رضي الله عنه) والتي اشتهرت بكنيتها (أم سعد) [٢].

نشأت (رضي الله عنها) يتيمة في حجر أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) [٣] وأنزل الله (عز وجل) في شأن أم هذه الصحابية وأختها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، روى جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك في يوم

---

(١) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٦٠)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٥٩).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢١٧).

(٣) المرجع السابق.

أُحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالًا، ولا ينكحان إلا ولهما مال.

فقال رسول الله ﷺ: «**يقضي الله في ذلك**». فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: «**أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك**»[1].

وهكذا لم يضيع الله (عز وجل) جميلة وأختها وأمها؛ وكيف يضيعون والعائل لهما أحد أصحاب النبي ﷺ الذي بذل روحه رخيصة في سبيل الله يوم أحد، هناك يوم مرّ عليه زيد بن ثابت فكان مما قاله : أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله -تعالى- إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف ثم فاضت نفسه (رضي الله عنه)[2].

تزوجت أم سعد (رضي الله عنها) من زيد بن ثابت الأنصاري، وولدت له عددًا من الأبناء هم: خارجة، وسليمان، ويحيى، وعمارة، وإسماعيل، وأسعد، وعبادة، وحسنة، وعمرة، وأم إسحاق، وأم كلثوم[3].

وهذه الصحابية الجليلة أم سعد هي التي حكت ما حدث لأم عمارة (رضي الله عنها) في غزوة أحد، قالت (رضي الله عنها) : دخلت على أم عمارة (رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢)، وأبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٠٩٣)، وابن ماجه (٢٧٢٠). وآية الميراث هي قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١١].

(٢) انظر الروايات في ذلك مجتمعه في «سير الشهداء دروس وعبر» للمؤلف.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٢٨)، وانظر «الإصابة» (٧/ ٥٦٠)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٥٩).

عنها) فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون أنحزت إلى رسول الله ﷺ فقمتُ أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلُصت الجراح إليّ قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحًا أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا ؟

قالت أم عمارة: ابن قمئة أقمأه الله، لمّا ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد، لا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان [1].

وهذه الصحابية الجليلة أم سعد هي التي ذكر أنها دخلت على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عمر فسأله عنها فقال: هذه ابنة من هو خير مني ومنك.

قال: ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: «رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت» [2].

وهذه القصة إن صحت دليل على التواضع العجيب الذي كان يتصف به

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هاشم (٢/ ٨١، ٨٢)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٣٤)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٢٠) وصححه وقال الذهبي في التلخيص: بل إسماعيل يعني إسماعيل بن قيس ضعفوه وأخرجه كذلك الطبراني في معجمه الكبير (٦/ ٢٥) وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٩) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣١٠) وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن عيسى بن سعد بن زيد وهو ضعيف.

أبو بكر (رضي الله عنه).

رضي الله -تعالى- عن أم سعد وأرضاها، وأكرم في جنات الخلد مثواها، ورزق بنات المسلمين ونساءهم السير على طريقها، إنه سميع مجيب، لا يرد من دعاه، ولا يخيب من رجاه.





حليمة السعدية

مرضعة النبي ﷺ

حليمة بنت عبدالله بن الحارث السعدية أم النبي ﷺ من الرضاعة. زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي، وأولادها منه: عبدالله، وأنيسة، وجدامة[1] وقيل حذافة.

وكانت حليمة أيضًا تحضن أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وكان كذلك عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعًا في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يومًا وهو عند حليمة، فكان حمزة أخو الرسول ﷺ في الرضاعة من وجهتين: من جهة ثوبية مولاة أبي لهب، ومن جهة السعدية[2].

وقد روت حليمة خبر الرضاعة ببيانها الآسر فذكرت أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، لتلتمس الرضعاء،

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٣)، و «الإصابة» (٧/ ٥٥١).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٢)، و «الإصابة» (٢/ ١٢١) و (٧/ ١٧٩).

قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا. فخرجت على أتان لي قمراء (١)، معنا شارف لنا، والله ما تَبِض بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالركب حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفًا وعجفًا (٢) حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: إنه يتيم! وما عسى أن تضع أمه وجده! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا، غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي، ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبتُ أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي

---

(١) القُمرة: بالضم لون إلى الخضرة، أو بياض فيه كدرة، «القاموس المحيط» ص ٥٩٨ مادة (قمر).

(٢) العجف: الهزال وذهاب السمن، «القاموس المحيط» ص ١٠٧٨ مادة (عجف).

ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك، اربعي[1] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فقلن: والله إن لها لشأنًا. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا والله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبضُ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لُبَّنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفرًا[2]. قالت: فقدمنا به على أُمّه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بُني عندي حتى يغلُظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا. قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد[3]، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا منتقعًا[4] وجهه. قالت: فالتزمته، والتزمه أبوه؛ فقلنا له: مالك يا بُني! قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا شيئًا لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا به إلى خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليمة،

---

(١) أي أقيمي وانتظري، «المرجع السابق» ص ٩٢٧ مادة (ربع).

(٢) الجفر: الصبي إذا انتفخ لحمه وأكل، المرجع السابق ص ٤٦٧ مادة (جفر).

(٣) البهم: الصغار من الغنم، واحدتها بهمة، القاموس ص ١٣٩٨ مادة (بهم).

(٤) أي متغيرًا، القاموس ص ٩٩٣ مادة (نقع).

لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر[١]، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك ؟ قالت: فقلتُ : قد بلغ الله بابني، وقضيتُ الذي عليَّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك، فاصدقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم. قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُني لشأنًا، أفلا أخبرك خبره، قالت: قلت بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة[٢].

ولقد كان رسول الله ﷺ يكرم مرضعته حليمة السعدية (رضي الله عنها) ويتحفها بما يستطيع، فعن شيخ من بني سعد قال: قدمت حليمة بنت عبدالله على رسول الله ﷺ مكة، وقد تزوج خديجة، فتشكت جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة وبعيرًا موقعًا للضغينة، وانصرفت إلى أهلها[٣].

وكانت بركته ﷺ على حليمة وأهلها عظيمة، قال ابن كثير: «والمقصود أن بركته ﷺ حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن

---

(١) الظئر : العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له «القاموس» ص ٥٥٥ مادة (ظار).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٦٢، ١٦٥)، و«تاريخ الأمم والملوك» (١/ ٤٥٦)، و «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٤).

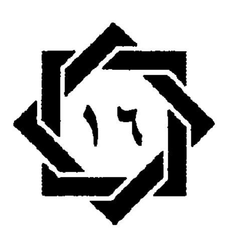
(٣) «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٣، ١١٤).

حين أسرهم بعد وقعتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر فمتوا إليه برضاعة فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم[١].

توفيت حليمة السعدية (رضي الله عنها) بالمدينة، ودفنت بالبقيع.



(١) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٧) وانظر (٤/ ٣٦٤)، و (٦/ ١٥٤).



بركة بنت ثعلبة (أم أيمن)

الحاضنة الطيبة

إنها بركة بنت ثعلبة مولاة رسول الله ﷺ، ورثها من أبيه ثم أعتقها عندما تزوج خديجة، وتكنى بأم أيمن، وهو ابنها من زوجها عبيد كما سيأتي[1] ويقال لها: أم الظِباء[2].

كانت حاضنة النبي ﷺ، وأضحت زوجًا لحب النبي ﷺ زيد بن حارثة، وأمًا للشهيد «أيمن بن عبيد الخزرجي»، وأمًا لأسامة بن زيد (رضي الله عنه)[3].

وأم أيمن هذه هي التي كانت مع آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ حين ذهبت إلى المدينة لزيارة بني نجارة أخوال جده عبد المطلب، ولما عادت إلى مكة مرضت

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٤)، و«سير أعلام النبلاء » (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) الإصابة (٨/ ١٦٩).

(٣) المرجع السابق.

آمنة في الطريق، وتوفيت في الأبواء[1]، فعادت أم أيمن بالنبي ﷺ وأصبحت حاضنته، وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها، كما غمره جده عبد المطلب بحبه، وكان يوصي الحاضنة أم أيمن قائلًا لها: يا بركة، لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريبًا من السدرة، وأن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة، وبعد وفاة عبد المطلب حزن عليه رسول الله ﷺ حزنًا ، تقول أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذٍ يبكي خلف سرير عبد المطلب[2].

وشب النبي ﷺ وهو يقدر أم أيمن ويكرمها[3]، لأنها كانت تقوم على أموره وشؤونه، وترعاه رعاية حسنة، فلما تزوج الرسول ﷺ خديجة (رضي الله عنها) أعتق أم أيمن فتزوجها عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت له أيمن، وأيمن هذا صحابي جليل، قُتل يوم حنين (رضي الله عنه)[4].

وكانت خديجة أم المؤمنين (رضي الله عنها) قد ملكت زيد بن حارثة، فسألها النبي ﷺ أن تهب له زيدًا ، فوهبته له، فأصبح زيد أثيرًا لدى رسول الله ﷺ فأعتقه، ثم زوَّجه أم أيمن، فولدت له أسامة فكان يكنى به[5].

ورغم كبر سن أم أيمن فقد أبت إلا أن تشارك في الجهاد مع رسول الله ﷺ

---

(١) قرية بين مكة والمدينة، يقال: بها توفيت أمه – عليه الصلاة والسلام– ، وأول غزواته– عليه الصلاة والسلام– غزوة الأبواء، انظر « معجم ما استعجم» (١/ ١٠٢).

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ١١٩).

(٣) ما ورد من قول الرسول ﷺ – لأم أيمن « يا أمه» قال عنه الذهبي: «رُوي بإسناد واهٍ» مرسل السير (٢/ ٢٢٤).

(٤) انظر «الإصابة» (٢/ ١٥٢) و «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٥٢).

(٥) انظر «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٤)، و «الإصابة» (٨/ ١٧٠).

ففي غزوة أحد خرجت أم أيمن مع النساء، وكانت مهمتها مداواة الجرحى والاعتناء بهم، وسقاية العطشى من المجاهدين[١].

وفي غزوة خيبر خرج مع الرسول ﷺ عشرون امرأة كان من بينهن أم أيمن (رضي الله عنها)، وأما ابنها أيمن فقد تخلف لمرض فرسه، وكانت أمه قد وصفته بالجبن، فقال حسان بن ثابت (رضي الله عنه) يذكر شجاعة الرجل، ويسجل فضل أمه وموقفها:

على حين أن قالت لأيمن أمه ... جبنت ولم تشهد فوارس خيبر
وأيمن لم يجبن ولكن مهره ... أضر به شرب المديد المخمر[٢]
فلولا الذي قد كان من شأن مهره ... لقاتل فيها فارسًا غير أعسر
ولكنه قد صده فِعل مهره ... وما كان منه عنده غير أيسر[٣]

ومرت الأيام سريعًا، وتوفي الرسول ﷺ، فتألمت قلوب الناس، ووقفت أم أيمن حزينة تبكي على فراق رسول الله ﷺ- قامت ترثي رسول الله ﷺ- بقصيدة تقول فيها:

عين جودي! فإن بذلك للدمـ ... ـع شفاء فأكثري من البكاء
حين قالوا: الرسول أمسى فقيدًا ... ميتًا كان ذاك كل البلاء
وأبكيا خير مَنْ رزئناه في الدنيا ... ومن خصَّه بوحي السماء
بدموع غزيرة منكِ حتى ... يقضي لك يك خير القضاء!
ولقد كان بعد ذلك نورًا ... وسراجًا يضيء في الظلماء

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ١٧٢).
(٢) هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل.
(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٣٢٠).

طيـــب العـــود والـضريبـــة والمعـــ ـــدن والخيم خاتـــم الأنبيـــــاء [١]

وقد روي عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال أبو بكر (رضي الله عنه) بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي ألاَّ أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء [٢].

توفيت أم أيمن بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر[٣]، وقال بعضهم : ماتت بعد عمر بعشرين يومًا، وقوى ابن حجر هذا القول[٤].

- رضي الله عنها وأرضاها -.



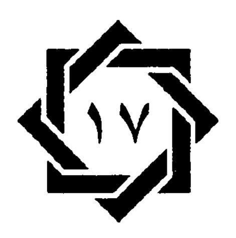
---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٤)، وابن ماجه (١٦٣٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٦٨)، وانظر التعليق على هذا الأثر والدروس المستفادة في «دروس من حياة الصحابيات» للمؤلف ط. دار الوطن.

(٣) أسد الغابة (٦/ ٣٠٤).

(٤) انظر «الإصابة» (٨/ ١٧٢).



أم حرام بنت ملحان

شهيدة البحر

إنها كما يقول أبو نعيم: حميدة البر، شهيدة البحر، التواقة إلى مشاهدة الجنان، أم حرام بنت ملحان.

وأم حرام بنت ملحان خالة أنس بن مالك[١] (رضي الله عنه)، وأخت البطلين الشهيدين حرام وسليم ابني ملحان بن خالد، شهدا بدرًا وأحدًا، وقتلا شهيدين يوم بئر معونة[٢].

وهي أيضًا أم قيس بن عمرو بن قيس، وزوج عمرو بن قيس بن زيد، شهدا أحدًا، وقتلا شهيدين فيها[٣].

وقد تزوجها عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وهو واحد ممن شهدوا

---

(١) «الإصابة» (٨/ ١٨٩).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ٧٢)، و «الإصابة» (٣/ ١٦٩).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٩٥).

العقبة مع السبعين من الأنصار، وأحد النقباء الاثني عشر، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان عقبيًا بدريًا أنصاريًا [١].

وقد كان النبي ﷺ يكرمها ويزورها، حيث ذكر العلماء أنها خالة له من الرضاعة، وذكر آخرون أنها خالة لأبيه أو لجده، لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار، وبهذا يزول الإشكال الذي يرد عند البعض فيما سيأتي من خبر دخول النبي ﷺ عليها وجلوسه عندها[٢].

ولأم حرام (رضي الله عنها) مناقب تفيض بالبركة، وتتسم بالكرم، فمنها البذل والإيثار لرسول الله ﷺ كلما زارها[٣]، ومنها التضحية وبذل النفس رخيصة في سبيل الله، ففي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قبرص في البحر، وخرجت أم حرام مع زوجها عبادة (رضي الله عنه) غازية في البحر فحملتها الذكريات إلى أعوام مضت، فتذكرت بشارة الرسول ﷺ بأنها ستغزو في البحر وستكون شهيدة، وقد تحدثت هي بذلك، فقد ذكر عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وهو بساحل حمص وهو في بناء له ومعه امرأته أم حرام، قال عُمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**) أي وجبت لهم الجنة. قالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: (**أنت فيهم**) [٤].

وقد ذكر أنس (رضي الله عنه) خبر وفاة خالته أم حرام فقال:

---

(١) انظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢/ ١٥٥).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٧٩).

(٣) انظر «الإصابة» (٨/ ١٨٩)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ٩٩).

(٤) رواه البخاري (٢٩٢٤).

دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان، فاتكأ عندها، وفي بعض الروايات «ثم جلست تفلي رأسه» ثم ضحك، فقالت: «لِمَ تضحك يا رسول الله».

فقال: «**ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة**».

فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «**اللهم اجعلها منهم**».

ثم عاد فضحك، فقالت له : مثل أو مِمَ ذلك؟

فقال لها : «**مثل ذلك**».

فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «**أنت من الأولين ولست من الآخرين**».

قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة (فاختة بنت قرظة مع زوج معاوية بن أبي سفيان)، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقصت بها (رمتها) فسقطت عنها فماتت[1]، وكانت وفاتها سنة سبع وعشرين [2].

وروى أبو نعيم في الحلية[3] عن هشام بن الغاز قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرص وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة. وعند الطبراني بإسناد حسنه ابن حجر[4] ما يثبت شهادتها قال ﷺ: «**من صرع عن دابته في سبيل الله فهو شهيد**».

---

(١) رواه البخاري (٢٨٧٨)، ومسلم (١٩١٢)، وانظر «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ٨١).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٦٢).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ١٨).

وما ذكر في الحديث من ضحك النبي ﷺ سببه الإعجاب بهم والفرح لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة كما تفيده رواية مسلم: « **أريتُ قومًا من أمتي** »[1].

رحم الله أم حرام بنت ملحان، فقد عاشت حميدة البر، وماتت شهيدة البحر، وكانت تواقة لمشاهدة الجنان، فرضي عنها وأرضاها.



(١) المرجع السابق (١١/ ٧٩).



أم خالد بنت خالد

أظنها آخر الصحابيات وفاة

[الإمام الذهبي]

آمنة بنت خالد[1] صحابية قرشية مكية، تكنى أم خالد، أبوها خالد بن سعيد ابن العاص أحد السباقين إلى الإسلام، وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية إحدى فضليات نساء الصحابة[2].

وأخوها سعيد بن خالد، أحد الصحابة الأبرار، استشهد بمرج الصفر[3]، وزوجها أحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام (رضي الله عنه)[4].

ولدت أم خالد في أرض الحبشة، وفتحت عينيها على الإسلام، وكان والدها

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٠٠).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٥٠٩).

(٣) انظر «الإصابة» (٣/ ١٠١).

(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣١٢).

من المهاجرين إلى الحبشة حين اشتد الأذى على المؤمنين في مكة[١].

ولقد كان لأم خالد مكانة عند رسول الله ﷺ، حيث كان يخصها بهديته، ومن ذلك أنه أُتي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: **(من ترون أكسو هذه)**؟ فسكتوا. فقال : **(ائتوني بأم خالد)** قالت: أم خالد -وهي التي روت الحديث: فأُتي بي أُحمل، فألبسنيها بيده، وقال: **(أبلي وأخلقي)** يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى علم الخيصة أصفر وأحمر، فقال: **(هذا سنا يا أم خالد، هذا سنا)** ويشير بإصبعه إلى العلَم، وسنا بالحبشية: حسن[٢].

وقد تزوجت أم خالد الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وولدت له عمرًا وخالدًا[٣].

ولقد كان لدعاء النبي ﷺ أثر مبارك في حياة أم خالد (رضي الله عنها) عندما قال لها: **(أبلي وأخلقي)** إذ إنَّ معنى الحديث كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «أي إنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق»[٤]. وقد استجيبت دعوة رسول الله ﷺ فلم تعش امرأة من الصحابة ما عاشت أم خالد[٥]. وذكر الذهبي في السير: «أنها عمرت إلى قريب من عام تسعين»[٦].

- رضي الله عنها وأرضاها-.

---

(١) انظر «الإصابة» (٢/ ٢٣٧)، و «الطبقات الكبرى» (٤/ ٩٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/ ٢٣٤)، والبخاري (٥٨٢٣)، وأبو داود (٤٠٢٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧١).

(٤) «فتح الباري » (١٠/ ٢٨٠).

(٥) انظر «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦/ ٥٨٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٠).

فائدة : لأم خالد عند البخاري حديثان أحدهما: الآنف ذكره، والآخر ما رواه في كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر برقم (١٣٧٦)، وفي كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم (٦٣٦٤) من طريقين عن موسى ابن عقبة قال: سمعت أم خالد بنت خالد، قالت: «سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر «وفي أخبار مكة» للفاكهي[1] عن إبراهيم بن عقبة قال: سمعت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص تقول: كان أبي أول من كتب (بسم الله الرحمن الرحيم).

❁ ❁ ❁

(١) (٣/ ٢٣٥).



خولة بنت حكيم

مؤمنة بنص القرآن

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية صحابية جليلة، أسلمت مبكرًا، كنيتها أم شريك[١]، وهي امرأة عثمان بن مظعون إمام من سادة المهاجرين، وأحد أولياء الله المتقين، وأول من دفن بالبقيع[٢].

من أبنائها السائب بن عثمان بن مظعون، أسلم في أول الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ[٣] ومن أبنائها كذلك عبد الرحمن بن عثمان ابن مظعون من أصحاب النبي ﷺ أدرك من حياته تسع سنين أو أكثر[٤] وذكره أبو حاتم البستي في مشاهير علماء الأمصار[٥].

---

(١) «الإصابة» (٧/ ٦٢١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٣٣٣).

(٥) (١/ ٢٤).

كانت خولة (رضي الله عنها) امرأة صالحة فاضلة، وهي ممن اهتم بأمور النبي ﷺ وقد كانت حريصة على إدخال السرور إلى نفسه، قالت عائشة (رضي الله عنها): لما ماتت خديجة (رضي الله عنها) جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألا تزوج؟ قال: (ومن)؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا.

قال: **(من البكر ومن الثيب)** ؟

فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك.

وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك، قال: **(اذكريهما عليَّ)**.

قالت : فأتيت أم رومان فقلتُ: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: ماذا؟

قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة.

قالت: انتظري فإن أبا بكر آت، فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له.

فقال: أوتصلح له وهي ابنة أخيه؟

فقال رسول الله ﷺ : **(أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي)**.

قالت: وقام أبو بكر، فقالت لي أم رومان: إن المُطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، والله ما أُخلف وعدًا قط، تعني أبا بكر.

قالت: فأتى أبو بكر المطعم فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية. قال: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين؟

فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك.

فأقبل عليه أبو بكر فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع، فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعد شيء، فقال لها: قولي لرسول الله ﷺ فليأتِ، فجاء

رسول الله ﷺ فملكها، قالت: ثم انطلقتُ إلى سودة بنت زمعة، وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحييته بتحية أهل الجاهلية، وقلتُ: أنعم صباحًا، قال: من أنت؟ قالت: خولة بنت حكيم، فرحَّب بي، وقال: ما شاء الله أن يقول، قلت: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب يذكر سودة بنت زمعة، قال: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: قولي له فليأت، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فملكها.

قالت: وقدم عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة[1].

وكانت خولة (رضي الله عنها) كثيرة الدخول على نساء النبي ﷺ فكن يكرمنها ويتفقدن شؤونها، ويسألن عن أحوالها، ومن ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته وعبد الرزاق في مصنفه من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون -واسمها خولة بنت حكيم- على عائشة، وهي باذة الهيئة. فسألتها ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبي ﷺ فقال: (**يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيَّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا**)[2].

ولقد تأثر عثمان (رضي الله عنه) بكلام رسول الله ﷺ فالتفت إلى زوجه،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢١٠، ٢١١)، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ٢٨١): إسناده حسن، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد ابن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وانظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٣١) و«الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٨٩) و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٩) و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢/ ٢٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٥)، ومصنف عبد الرزاق (١٠٣٧٥)، ورجاله ثقات.

واهتم بها، حتى إنها «أتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها: مَه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس»[١].

وعاشت خولة مع زوجها عثمان بن مظعون عيشة طيبة، فلما توفي تأثرت لوفاته، فقالت ترثيه:

يا عينُ جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون
على امرىء بات في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزنًا لا انقطاع له ... حتى الممات فما ترقا له شوني[٢][٣]

ومن أخبار هذه الصحابية الجليلة أنها ممن وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وقد سمى الله (عز وجل) فاعلة ذلك مؤمنة، فقال سبحانه: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقد روى البخاري[٤] عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم كانت من اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ.

وروى البيهقي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم»[٥].

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩٥).

(٢) شوني: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين، انظر «القاموس المحيط» ص ١٥٥٩ مادة (شأن).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٠٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسه لأحد برقم (٥١١٣)، وانظر «فتح الباري» (٨/ ٥٢٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٦٢).

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٥)، وانظر «فتح الباري» (٨/ ٥٢٥)، و«تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٢)، و«تقريب التهذيب» ص٧٤٦، و«تهذيب الكمال» (٣٥/ ١٦٤).



أم الدحداح الأنصارية

المؤثرة نعيم الآخرة

أم الدحداح الأنصارية واحدة من نساء الصحابة اللاتي آثرن الباقي على الفاني، والنعيم الدائم على اللذة المنقطعة فنلن السعادة في الدنيا والآخرة.

زوجها الصحابي الجليل أبو الدحداح، أو أبو الدحداحة ثابت بن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار، وأحد فرسان هذا الدين، الذين بذلوا في سبيل الله نفوسهم وأرواحهم وأموالهم، جرح يوم أحد ثم مات بعد ذلك بمدة عندما انتقض جرحه (رضي الله عنه)[1].

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها. غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح، فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: (نعم يريد أن يدخلكم الجنة به) قال: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي

---

(١) انظر الإصابة (٧/ ١٢٠).

الدحادحة معي في الجنة؟ فقال ﷺ: (نعم) قال: فناولني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضًا لله -تعالى-.

فقال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك».

قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله -تعالى- وهو حائط فيه ستمائة نخلة.

قال: (إذا يجزيك الله به الجنة).

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صباينها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك الله سبل الرشاد ... إلى سبيل الخير والسداد

بيني من الحائط بالوداد ... فقد مضى قرضًا إلى التناد

أقرضته الله على اعتمادي ... بالطوع لا من ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد ... فارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد ... قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح -رضي الله عنها-: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت وفي بعض الروايات أنها قالت: «ربح السعر»، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح ... مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متع الله عيالي ومنح ... بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح ... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح (رضي الله عنها) على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر.

فقال رسول الله ﷺ: «**كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح**» وفي بعض الروايات: «**رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة**»[1].

فيا نساء الإسلام هذه أم الدحداح التي تركت أجمل صور الكرم، الْزَمْن طريقها، وسِرْن على منهاجها، واتركن متاع الدنيا الفاني، وارضين بالقليل، عسى أن تفزن غدًا بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، أعدت للمتقين.



(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٩) ورواه الحاكم (٢/ ٢٤) ونحوه من غير ذكر الأبيات وصححه ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم (٤٤٥٠) وذكر نحوه كذلك الهيثمي في المجمع ٦/ ٣٢١ وقال رواه البزار ورجاله ثقات وذكره كذلك في المجمع (٩/ ٣٢٣) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٢٣٩) و (٢٠/ ٩٠) و«جامع البيان» (٢/ ٥٩٣) و«تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٠٠) و (٤/ ٣٠٨).



الربيع بنت معوّذ

مؤمنة بايعت تحت الشجرة

الربيع بنت معوذ من الصحابيات السابقات إلى الإسلام، أبوها معوِّذ بن عفراء من كبار أهل بدر وشهدائها، وهو الذي ضرب أبا جهل حتى أثبته وبه رمق[١]. وأمها أم يزيد بنت قيس بن زعوراء بن حرام[٢].

وزوج الربيع هو أحد كبار المهاجرين، وهو إياس بن البكير الليثي، صحابي جليل من أهل بدر، شهد فتح مصر وتوفي سنة أربع وثلاثين[٣].

ولهذه الصحابية الجليلة مناقب جمة، بوأتها مكانًا عليًا بين نساء المسلمين، كان منها زيارة الرسول ﷺ لها حينما تزوجت، تقول الربيع (رضي الله عنه): دخل عليَّ رسول الله ﷺ في يوم عرسي، فقعد على موضع فراشي هذا، وعندنا جاريتان

(١) انظر «تاريخ واسط» (٣/ ٧٤)، و «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٥١).

(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٤٧).

(٣) انظر «الإصابة» (١/ ١٦٣).

تضربان بدف، وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر، وقالتا فيما تقولان:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال: أما هذا فلا تقولاه [١].

وهذا الإنكار لأن علم الغيب مما اختص الله -تعالى- به نفسه، أما ما كان يخبر به النبي الكريم ﷺ من الغيوب فهو من إعلام الله -تعالى- إياه، قال الله -تعالى-: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

ورزق الله -تعالى- الصحابية الجليلة الربيع بنت معوذ عقلًا كبيرًا صافيًا، فكانت حافظة متقنة، وقد روى محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء: صفي لي رسول الله ﷺ فقالت: يا بني لو رأيته الشمس طالعة [٢].

وسارعت الربيع بنت معوذ إلى نصرة الإسلام، وساهمت في ساحة الجهاد، تقول (رضي الله عنها): كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة [٣]، وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، فنالت الرضوان، وفازت مع من فاز في هذه البيعة المباركة [٤].

وفي حياة هذه الصحابية الكريمة مواقف فياضة بالشجاعة والكرامة، تشير إلى اعتصامها بحبل الله، وتدل على حبها العظيم للإسلام مهما غضب الأعداء، ولا تأبه بأي أحد ما دام عمله يخالف الشرع المطهر، فعنها قالت: أخذت طيبًا من

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة برقم (٥١٤٧).

(٢) انظر «الإصابة» (٧/ ٦٤١)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ١١٦)، و«البداية والنهاية» (٦/ ١٥).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وانظر الإصابة (٧/ ٦٤١٩).

(٤) انظر «الإصابة» (٧/ ٦٤١).

أسماء بنت مخربة أم أبي جهل، فقالت: اكتبي لي عليك، فقلت: نعم، أكتب على رُبيع بنت معوذ، فقالت: حلقى[1]، وأنك لابنة قاتل سيده، قلت: بل ابنة قاتل عبده، قالت: والله لا أبيعك شيئًا أبدًا.[2]

وقد كانت الربيع مثالًا للمرأة المسلمة في علمها وروايتها للحديث الشريف، وعرف المسلمون قدرها، وأكبروا علمها، وكان عدد من الصحابة والتابعين يأتونها فيسألونها عما تعرفه من أحكام دينها، ومن مروياتها ما روي في الصحيحين عنها قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم، قالت: فكنا نصومه ونُصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العِهن -الصوف- فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[3].

ومن أخبارها ما ذكره الذهبي في السير[4] عن محمد بن عقيل عن الربيع قالت: كانت بيني وبين ابن عمي كلام وهو زوجها فقلت له : لك كل شيء لي وفارقني، قال: قد فعلت. قالت: فأخذ والله كل شيء لي حتى فراشي فجئت عثمان (رضي الله عنه) فذكرت ذلك له وقد حصر فقال: الشرط أملك. خذ كل شيء لها حتى عقاص رأسها إن شئت.

---

(١) حلقى: دعاء عليها بأن تصاب بوجع في الحلق، وفي القاموس: الحولق وجع في حلق الإنسان. وكغراب: وجع الحلق، انظر «القاموس المحيط» ص ١١٣١ مادة (حلق).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (٢/ ٧٩٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٠).

توفيت الربيع بنت معوِّذ في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين[1].

فرحم الله -تعالى- الربيع بنت معوِّذ، ورضي عنها وأرضاها، وجزاها الله -تعالى- على سابقتها إلى الإسلام، ومبايعتها تحت الشجرة خير ما يجزي به التقيات الصالحات.

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق (٣/ ١٩٨).



أم رومان بنت عامر

الحماة الكريمة

أم رومان بنت عامر صحابية جليلة، نالت الشرف العظيم بالقرب من المعصوم (رضي الله عنها) بسبب زوجها وابنتها كما سيأتي، واختلف في اسمها فقيل: دعد، وقيل: زينب [1].

واجتمعت في هذه الصحابية خصال مباركة جعلتها من سادة نساء الدنيا، فصهرها أفضل خلق الله محمد بن عبدالله -عليه الصلاة والسلام-.

وزوجها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).

وابنتها الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين عائشة، أفقه نساء الأمة وأعلمها.

وابنها أحد أبطال الإسلام، وأحد الصحابة الكرام الذين كتبت لهم السعادة بصحبة المصطفى ﷺ عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[2]

---

(١) الإصابة (٨/ ٢٠٦).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ٩١)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٠) و«الآحاد والمثاني» (١/ ٤٧٠) والإصابة (٤/ ٣٢٥)، «والطبقات» لخليفة بين خياط (١/ ١٨).

وفي منطقة تسمى السراة في جزيرة العرب نشأت أم رومان، وكانت ذات أدب وفصاحة، تزوجها عبدالله بن الحارث بن سخبرة فولدت له الطفيل [1].

وكان زوجها عبدالله بن الحارث يرغب الإقامة في مكة، فسافر بها وبابنها إلى هناك، وعلى عادة العرب آنذاك كان لا بد للحارث أن يدخل في حلف أحد الأشخاص البارزين يحتمي به، فحالف أبا بكر الصديق (رضي الله عنه)، وكان ذلك قبل الإسلام.

وبعد فترة من الزمن توفي عبدالله بن الحارث، فما كان من أبي بكر إلا أن تقدم لها كعادتهم وقتئذ إكرامًا لصاحبه بعد مماته، وقبلت أم رومان به زوجًا ليحافظ عليها بعد وفاة زوجها [2].

وكان أبو بكر (رضي الله عنه) متزوجًا قبل ذلك، وله من الولد عبدالله وأسماء، ثم ولدت له أم رومان عبد الرحمن وعائشة.

وما إن بعث النبي ﷺ حتى كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أول من آمن به وصدقه، وآمن بدعوته من الرجال، ثم عمد إلى زوجه أم رومان يحدثها، ويدعوها إلى الخير الذي رضيه لنفسه، فآمنت معه، وأسلمت، واستكتمها الأمر إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وهكذا غدت دار أبي بكر مأوىً كريمًا لرسول الله ﷺ، وبيتًا إسلاميًا طيبًا، وكانت أم رومان (رضي الله عنها) مثال الزوجة الصالحة التي تقف إلى جانب زوجها تخفف آلامه، وتواسيه في تلك الأيام الصعبة القاسية التي يمر بها

---

(١) الإصابة (٨/ ٢٠٦).

(٢) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/ ٤٥٠)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٧٦).

المسلمون الأوائل، بل كانت تشد من أزر زوجها، وتشاركه في حماسه، وما يبذله في سبيل نصرة الدعوة.

وعندما خرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مهاجراً إلى المدينة، وترك أسرته في مكة لتلحق به، وكانت أم رومان (رضي الله عنها) تتحمل شدة العيش بعد هجرة زوجها الذي احتمل معه ماله كله، ولكن هذا لم يكن يهمها، بل كانت ترجو أن يسلم رسول الله ﷺ من أيدي المشركين وأذاهم، وصبرت على خوف إلى أن جاء من يخبر بأن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة آمنًا مطمئنًا، وأرسل النبي ﷺ مَنْ يأتي بأهله وبناته، ويأتي بأهل أبي بكر وأفراد أسرته.

وانطلق الركب المهاجر إلى المدينة، وفي الطريق تعرضت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) لخطر كبير، حيث شرد بها وبأمها الجمل، فجعلت أم رومان تقول: واعروساه وابنتاه. تقول عائشة: فسمعت قائلًا يقول: أرسلي خطامه، فأرسلت خطامه، فوقف - بإذن الله- وسلمنا الله (عز وجل)"[1].

ووصل الركب المهاجر إلى المدينة، وفي مقدمته أم رومان (رضي الله عنها)، ونزلت في البيت الذي أعده أبو بكر (رضي الله عنه)، وبعد أن أعزَّ الله -تعالى- رسوله ﷺ في غزوة بدر تزوج عائشة في شوال سنة اثنتين من الهجرة الشريفة.

وتمضي السنون، فإذا بأم رومان تواجه محنة رهيبة عكرت صفاء حياتها مدة شهر من الزمان، وذلك بسبب حادثة الإفك [2] التي قاد زمامها ابن سلول زعيم المنافقين، وفي هذه المحنة الكبرى، والرزية العظمى وقفت أم رومان (رضي الله

(١) انظر «الاستيعاب» (٤/ ٤٥١) و «البداية والنهاية» (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر قصة حادثة الإفك مفصلة في كتاب «الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن» وكتاب «فقه التاريخ» للمؤلف.

عنها) موقفًا إيمانيًا لتؤدي دور الأم الواعية الحانية، وصبرت في ذلك واحتسبت حتى جاء الفرج من عند الله العليم الحكيم، وردَّ المنافقين بغيظهم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

وعادت حياة النقاء إلى قلب أم رومان بعد أن انقشعت سحابة الإفك، وأكرم الله (عز وجل) بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فأنزل في أم المؤمنين عائشة قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، وكان ذلك جزاءً وفاقًا من لدن العزيز الحكيم لرجل دخل في الإسلام من أول يوم، وبذل نفسه وماله لله ورسوله.

ومن أخبار هذه الصحابية الجليلة ما ذكرته ابنتها عائشة (رضي الله عنها) وهي تحدث عن قصة زواجها من رسول الله ﷺ وذلك في قولها: «فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة.. فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[1].

وفي وفاتها اختلاف فبعضهم يرى أنها ماتت سنة ست، وبعضهم يرى أنها ماتت بعد سنة ثمان ورجحه ابن حجر[2].

رضي الله عنها وأرضاها، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٣١).

(٢) «انظر«الإصابة» (٨/ ٢٠٨/ ٢٠٩).



أم سليم بن ملحان

المؤمنة الداعية

أم سليم بنت ملحان، ويقال: الرميصاء، ويقال: سهلة، ويقال: رميثة، ويقال: أُنيقة صحابية أنصارية خزرجية، جمعت الشرف والمجد من أطرافه كلها.

وهي أم الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ[1].

ولما آمنت (رضي الله عنها) ودخلت في الإسلام جاء زوجها أبو أنس، وكان غائبًا، وعندما علم بإسلامها غضب غضبًا شديدًا، وقال لها : أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت[2].

وقد جعلت (رضي الله عنها) تلقن ابنها أنسًا فتقول: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول:

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥).

إني لا أفسده[١]!

فخرج مالك فلقيه عدو له، فقتله. قالت: لا جرم، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس، فخطبها أبو طلحة الأنصاري- وهو يومئذ مشرك- فأبت، وقالت له يومًا: أرأيت حجرًا تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك: هل يضرك؟ هل ينفعك؟ فوقع في قلبه الذي قالت. فأتاها، فقال: لقد وقع في قلبي الذي قلت، وآمن. قالت: فإني أتزوجك ولا آخذ منك صداقًا غيره، وعند ذلك قال أبو طلحة: فمن لي بذلك؟ قالت: النبي ﷺ. فانطلق يريده. فقال النبي ﷺ: «**جاءكم أبو طلحة غُرة الإسلام بين عينيه**»[٢].

ولقد كان لرسول الله ﷺ مكانة عظمى عند أم سليم (رضي الله عنها) فقد كانت تتفقد النبي ﷺ وتتحفه بالهدية والطعام بين الحين والحين، فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كان يزور أم سليم فتتحفه بالشيء تصنعه له، وأخ لي أصغر مني يكنى أبا عُمير، فزارنا يومًا ، فقال: مالي أرى أبا عمير خائر النفس؟ قالت: ماتت صَعوة[٣] له كان يلعب بها.

فعجل النبي ﷺ يمسح رأسه ويقول: «**يا أبا عمير، ما فعل النُّغير**»[٤].

ومن مكانة الرسول ﷺ العالية عند أم سليم ما رواه أنس (رضي الله عنه)

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٢٥)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (٣/ ٥٣٤) وصحح محقق الكتاب د. محمد التركي إسناده. وانظر «تاريخ جرجان» ص ٣٧٩ و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٢٨).

(٣) الصعوة: طائر أصغر من العصفور.

(٤) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٢٧) وصحح الأرنؤوط إسناده.

والنغير: تصغير نغر وهو فرخ العصفور.

أن النبي ﷺ لما أراد أن يحلق رأسه بمنى أخذ أبو طلحة شق شعره- عليه الصلاة والسلام-، فجاء به إلى أم سليم فكانت تجعله في سكها.

قالت: وكان يقيل عندي على نطع، وكان معراقًا ﷺ فجعلت أسلتُ العرق في قارورة. فاستيقظ، فقال: (ما تجعلين)؟ قلت: «**رأيت أن أدوف بعرقك طيبي**»[١].

ولقد كان النبي ﷺ يجل أم سليم ويحترمها، ويزورها، فعن أن (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ دخل على أم سليم فأتته بسمن وتمر. فقال: إني صائم. ثم قام، فصلى ودعا لأم سليم ولأهل بيتها، فقالت: إنَّ لي خُويصة قال: (ما هي)؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، وبعثَت معي بمكتل من رطب إلى رسول الله ﷺ.[٢]

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتًا غير بيت أم سليم. فقيل له: فقال: «**إني أرحمها، قُتل أخوها معي**»[٣].

قال الإمام الذهبي- رحمه الله- : «أخوها هو حرام بن ملحان الشهيد الذي قال يوم بئر معونة: فزت وربِّ الكعبة، لما طعن من ورائه، فطلعت الحربة من صدره (رضي الله عنه)»[٤].

ومن صفات أم سليم التي تعتبر مضرب المثل ما حدث به أنس (رضي الله عنه) حين يقول: ثقل ابن لأم سليم، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتُوفي الغلام.

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٢٩)، ومسند أحمد (٣/ ٢٨٧) وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للسير.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠٨). وخويصة: تصغير خاصة.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٧)، وانظر «الإصابة» (٢/ ٤٧).

فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروه. فرجع، وقد سيرت له عشاءه، فتعشى، ثم أصاب من أهله. فلما كان من آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل أبي فلان استعاروا عارية، فمنعوها، وطلبت منهم، فشقَّ عليهم. فقال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله. فقبضه. فاسترجع، وحمد الله.

فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فلما رآه قال: «**بارك الله لكما في ليلتكما**». فحملت بعبدالله بن أبي طلحة، فولدت ليلًا ، فأرسلت به معي، وأخذت تمرات عجوة، فانتهيت به إلى النبي ﷺ وهو يهنأ أباعر له، ويسمها، فقلت: يا رسول الله، ولدت أم سليم الليلة. فمضغ بعض التمرات بريقه، فأوجره إياه، فتلمّظ الصبي، فقال: (حِب الأنصار التمر) فقلتُ: سمه يا رسول الله. قال: (هو عبدالله) [1].

قال عباية بن رفاعة: «**فلقد رأيت لذلك الغلام سبع بنين، كلهم قد ختم القرآن**»[2].

ولقد كان لأم سليم (رضي الله عنها) جهاد مشكور مع رسول الله ﷺ فعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم (رضي الله عنها) ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى [3].

وفي غزو أحد خرج من المسلمين أربع عشرة امرأة يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى ويداوينهم، وكان منهم فاطمة الزهراء، وعائشة، وحمنة بنت جحش، وأم أيمن، وأم عمارة وأم سليم- رضي الله عنهن أجمعين- ،

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وانظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٣٢)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٥٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١١)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه مسلم.

وكانت عائشة وأم سليم تحملان القرب ثم تفرغانها في أفواه القوم"[1].

وفي غزوة حنين خرجت أم سليم تبتغي أجر الجهاد مع رسول الله ﷺ وكان معها خنجر قد حزمته على وسطها- وهي يومئذ حامل بعبدالله بن أبي طلحة، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر! فقالت: يا رسول الله، إن دنا مني مشرك بقرت بطنه"[2].

ولقد حظيت أم سليم (رضي الله عنها) ببشارة النبي ﷺ لها بالجنة، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: «**دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان**»[3].

فرحم الله الغميصاء[4]، ورضي الله عن أم سليم بنت ملحان المستسلمة لحكم المحبوب، الطاعنة بالخناجر في الوقائع والحروب.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال.

(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٢٥)، و «الإصابة» (٨/ ٢٢٩)، وصحح ابن حجر إسناده، وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٧)، و«الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٤٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤٥٦). والخشفة: ما يسمع من حس وقع القدم.

(٤) هذا هو لقب أم سليم، ويقال كذلك الرميصاء كما تقدم. انظر «الإصابة» (٧/ ٦٥٦).



سمية بنت خيّاط

أول شهيدة في الإسلام

سُمية بنت خُيّاط إحدى الصحابيات الجليلات من الرعيل الأول ممن دخل الإيمان قلوبهم، وهي أول امرأة أظهرت إسلامها، وكانت سابعة سبعة في الإسلام.

وزوج سمية هو ياسر بن عامر الذي قدم مكة هو وأخواه الحارث ومالك من اليمن يطلبون أخًا لهم، فرجع أخواه، وأقام ياسر، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكانت سمية أمة لأبي حذيفة، وزوجها ياسر بن عامر، فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة ثم مات أبو حذيفة، فلما جاء الله بالإسلام أسلم عمار وأبواه وأخوه عبدالله، وتزوج بعد ياسر الأزرق الرومي غلام الحارث ابن كلدة الثقفي، وله صحبة، وهو والد سلمة بن الأزرق.

لقد كانت سمية من الأسرة التي ألبسها المشركون أدراع الحديد، وصفدوهم

في الشمس، فبدأت رحلة العذاب مع سمية وزوجها وابنها عمار حيث كان المشركون يخرجوهم إلى الفضاء إذا حميت الرمضاء ليرتدوا عن دينهم، ولكن الأسرة الصابرة تزداد صلابة وإيمانًا وتسليمًا، حتى مات ياسر تحت التعذيب، فواصلت الأسرة الياسرية رحلة الصبر والثبات، وبدأت سمية تتحدى وتجابه بني المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وتقف صامدة أمام أبي جهل الذي غدا كالمسعور في مجابهة سمية له بسخرية، فلقد حطمت رضي الله عنها كبرياءه وصلفه بصبرها وثباتها، وفطرت قلبه بعدم ذكرها رسول الله ﷺ ولو بكلمة واحدة.

لم يكن أبو جهل يترك وسيلة في فتنة الناس عن الدين الصحيح إلا اتبعها، فإن كان الرجل له شرف ومنعة أنّبه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به.

وظلت سمية رضي الله عنها تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبي جهل صبر الأبطال، فلم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها، ولقد تفنن الخبيث في إيذائها وإيذاء رسول الله ﷺ بالكلام والشتيمة وذات عشي أغلظ لها الكلام، ثم قال لها: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقتيه لجماله، فما كان جوابها إلا أن أغلظت له القول فأغضبته، ولم يكن من جبروته وغيّه إلا أن طعنها بحربة في قلبها فماتت شهيدة في سبيل الله، وصعدت روحها إلى بارئها راضية مرضية، وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فكانت بذلك أول شهيد في الإسلام.(١)

---

(١) انظر «صفوة الصفوة» لابن الجوزي- رحمه الله - (٢/ ٦٠)، و «الإصابة» (٧/ ٧١٢)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٦٤)، و «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٠٩).

فيا ليت نساء المسلمين يتخذن من سيرة الصحابية الجليلة مثلًا يحتذينه في التضحية والفداء، والصبر والصمود.[1]

رضي الله -تعالى- عن سمية أم عمار، ورحم الله أول شهيد في الإسلام، وأم أول من بنى مسجدًا يصلى فيه، وسلام عليك أيتها الأسرة الياسرية الصامدة، والله -تعالى- المسؤول أن يعوضهم على صبرهم وجهادهم بجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، وما ذلك على الله بعزيز.



(١) انظر الدروس والعبر المستفادة من قصة استشهاد هذه الصحابية الجليلة في كتاب «سير الشهداء: دروس وعبر» للمؤلف.



الشيماء بنت الحارث السعدية

أخت النبي ﷺ من الرضاعة

الشيماء بنت الحارث السعدية، هي ابنة حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ فهي إذن أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، وهي التي كانت تحضنه -عليه الصلاة والسلام-.

والشيماء هذه هي التي كانت تلعب النبي ﷺ وتدعو الله- تعالى- قائلة:

يا ربنا أبق لنا محمدًا ... حتى أراه يافعًا وأمردا

ثم أراه سيدًا مسوّدا ... واكبت أعاديه معًا والحُسَّدا

وأعطه عزًّا يدوم أبدًا

قال محمد بن المعلى الأزدي: وكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما جاب الله دعاءها.[1].

---

(١) الإصابة (٤/ ٣٤٤). ط دار صادر.

ولقد بقيت الشيماء وأهلها وقومها موضع محبته وإكرامه طوال حياته -عليه الصلاة والسلام- كما ذكر الإمام ابن حجر في الإصابة أن الشيماء لما كان يوم هوازن ظفر المسلمون بهم، وأخذوا الشيماء فيمن أخذوا من السبي، فلما انتهت إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، إني لأختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك، قالت: عضة عضضتها في ظهري، وأنا متوركتك، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، ثم قال لها: ههنا، فأجلسها عليه، وخيرها، فقال : إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أُمتعك فارجعي إلى قومك، فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي وردها إلى قومها.[1]

ولم يتوقف إكرام النبي ﷺ للشيماء عند هذا فحسب، بل شمل ذلك بني سعد جميعهم، وبنو سعد من هوازن، وقصة ذلك أنه لما انتصر على هوازن يوم حنين وغنم أموالهم ونساءهم وذراريهم عند ذلك جاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منَّ الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال: يا رسول الله، إنا في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الـــذي

أصابنا منك، رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امـــنن علينــــا رســـول الله في كـــرم | فإنـــك المـــرء نرجـــوه وننتظـــر
امـنن عــلى بيــضة قــد عاقهــا قــدر | ممــزق شــملها في دهرهــا غــيَرُ

(١) الإصابة (٤/ ٣٤٤) ، دار صادر.

أبقـت لنـا الـدهر هتافًـا عـلى حـزن ... عـلى قلـوبهم الغـمّاء والغمـر
يـا خـير طفـل ومولـود ومنتجـب ... في العـالمين إذا مـا حـصّل البـشر
إن لم تـداركها نعـماء تنـشرها ... يـا أرجـح النـاس حلـمًا حين يختبر
امنن عـلى نـسوة قـد كنـت ترضـعها ... إذ فـوك ملـؤه مـن مخضها الـدَّرر
امنن عـلى نـسوة قـد كنـت ترضـعها ... وإذ يزينـك مـا تـأتي ومـا تـذر
لا تجعلنـا كمـن شـالت نعامتـه ... واستبق منـا فإنـا معـشر زُهُـر
إنـا لنـشكـر آلاء وإن كفـرت ... وعنـدنا بعـد هـذا اليـوم مـدخر[1]

فقال رسول الله ﷺ «نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم»؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم**» فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.[2]

قال ابن كثير: ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله - عليه الصلاة والسلام- قديمًا وحديثًا، خصوصًا وعمومًا.[3]

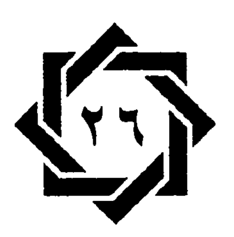
❁ ❁ ❁

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٨) و (٤/ ٣٥٢، ٣٥٣)، و (٤/ ٣٦٤) و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٧٣) و«تاريخ بغداد» (٧/ ١٠٦).

(٢) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٧٣)، و «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٦٤).



صفية بنت عبد المطلب

شاعرة الهاشميات

نحن الآن مع صفية بنت عبد المطلب الهاشمية، عمة النبي ﷺ، وشقيقة حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله، وأم حواري النبي ﷺ الزبير بن العوام[١]، أبوها عبد المطلب سيد قريش وزعيمها بلا منازع، قائدها ورائدها، وأمها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب[٢].

وهي التي قال لها رسول الله ﷺ مع بنته فاطمة: **«يا صفية بنت عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم»** قال ابن منده: لفظ أحمد وإسناده صحيح[٣].

وعندما توفي والدها عبد المطلب تأثرت لذلك كثيرًا، فبكت وحزنت،

---

(١) «الإصابة» (٧/ ٧٤٣).

(٢) انظر «البداية النهاية» (٢/ ٢٥١) و«الإصابة» (٧/ ٧٤٣) و«الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣١).

(٣)الإيمان لابن مندهس (٢/ ٨٨١).

وفاض لسانها برثاء أحب الناس إليها فقالت:

أرقــت بــصوت نائحــة بليــل عــلى رجــل بقارعــة الــصعيد
ففاضــت عنــد ذلكــم دمــوعي عــلى خــدي كمنحــدر الغريــد
عــلى رجــل كــريم غــير وغــل لــه الفــضل المبــين عــلى العبيــد
عــلى الفيَّــاض شــيبة ذي المعــالي أبيــك الخــير وارث كــل جــود
صــدوق في المــواطن غــير نكــس ولا شـــحب المقـــام ولا ســـنيد
طويـــل البـــاع أروع شـــيظمي مطـــاع في عـــشيرته حميـــد
رفيــع البيــت أبلــج ذي فــضول وغيــث النــاس في الــزمن الحــرود
كــريم الحــد لــيس بــذي وصــوم يــروق عــلى المــسوَّد والمــسود
عظــيم الحلــم مــن نفــر كــرام خـــضارمة ملاوثـــة أُسُـــود
فلــو خلــد امــرؤ لتقــديم مجــد ولكـــن لا ســـبيل إلى الخلـــود
لكــان مخلــدًا أخــرى الليــالي لفــضل المجــد والحــسب التليــد[1]

وقد كانت صفية (رضي الله عنها) زوجًا للحارث بن حرب بن أمية – وهو أخو سفيان بن حرب- فتوفي عنها، فتزوجها العوام بن خويلد الأسدي أخو خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة[2].

ولما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام كانت صفية (رضي الله عنها) من أوائل الذين آمنوا به وصدقوا برسالته، واتبعوا النور الذي أُنزل معه[3]، قال ابن سعد: «أسلمت صفية (رضي الله عنها) وبايعت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة، وأطعمها رسول الله ﷺ أربعين وسقًا بخيبر»[4].

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٠٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٠)، و«الإصابة» (٧/ ٧٤٣)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١).
(٣) قال الذهبي: (والصحيح أنه ما أسلم من عمات النبي ﷺ سواها) السير (٢/ ٢٧٠).
(٤) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١).

وتألمت صفية لمقتل أخيها حمزة ألمًا شديدًا، وقالت: «لأحتسبن ولأصبرن»[١]، ورثته فقالت:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور[٢]

فو الله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنًا محضري ومسيري

وصفية (رضي الله عنها) مجاهدة صامدة لا يجد الجبن والخور إلى قلبها سبيلًا، ويدل على ذلك موقفها يوم الخندق، فقد كانت صفية (رضي الله عنها) مع نساء المؤمنين في حصن حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) وكانت من أحصن أكام المدينة وأمنعها، وكان رجل من اليهود يطوف بالحصن، وكان من بني قريظة الغادرين الماكرين فرأته صفية (رضي الله عنها) فما كان منها إلا أن أخذت عمودًا ، ونزلت، فضربت اليهود فقتلته[٣].

وصفية هذه هي التي دخلت في دين الله - تعالى- طائعة له، منقادة لرسول الله ﷺ محبة له، ولذلك تأثرت لموته لما فارق الحياة، فقامت تبكيه وتقول:

لهف نفسي وبت كالمسلوب ... أرقب الليل فعلة المحروب

من هموم وحسرة أرقتني ... ليت أني سقيتها بشعوب

حين قالوا إن الرسول قد أمسى ... وافقته منية المكتوب

---

(١) «السيرة النبوية» (٤/ ٤٧)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٧٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٦٠).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٠، ٢٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٥) ومسند البزار (٣/ ١٩١) وتاريخ الأمم والملوك (٢/ ٩٦)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١).

حـين جئنـا لآل بيـت محمـد فأشـاب القـذال مني مـشيب
فعـراني لـذلاك حـزن طويـل خـالط القلـب فهـو كـالمرعوب

وقالت أيضًا:

ألا يـا رسـول الله كنـت رخاءنـا وكنـت بنـا بـرًا ولم تـك جافيًـا
وكـان بنـا بـرًا رحـيمًا نبينـا لبيـك عليـك اليوم مـن كـان باكيًـا
لعمـري مـا أبكـي النبـي لموتـه ولكـن لهـرج كـان بعـدك آتيًـا
كـأن عـلى قلبـي لفقـد محمـد ومـن حبـه مـن بعـد ذاك المكاويـا
أفـاطم، صـلى الله رب محمـد عـلى حـدث أمـسى بيثـرب ثاويًـا
أرى حـسنًا أيتمتـه وتركتـه يبيـك ويـدعو جـده اليـوم نائبًـا
فـدى لرسـول الله أمـي وخـالتي وعمـي نفـسي قـصره وعياليـا
صـبرت وبلغـت الرسـالة صـادقًا ومـت صـليب الـدين أبلـج صـافيًا
فلـو أن رب العـرش أبقـاك بيننـا سـعدنا ولكنـه أمـره كـان ماضـيًا
علـيكم مـن الله الـسلام تحيـة وأدخلت جنـات مـن العـدن راضـيًا

قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني وإسناده حسن[١].

عاشت صفية (رضي الله عنها) وهي تؤثر رضوان الله -تعالى- على كل شيء حتى توفيت سنة عشرين من الهجرة، ودفنت بالبقيع عن بضع وسبعين سنة[٢].

رضي الله -تعالى- عن صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وشقيقة أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب، ورحم الله المؤمنة المبايعة، والمجاهدة الصابرة، والشاعرة الفاضلة.



---

(١) مجمع الزوائد (٨/ ٦١٧، ٦١٨).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢١).



عاتكة بنت زيد

العابدة الزاهدة

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية، صحابية كريمة هي أخت سعيد ابن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة [١]. وأمها أم كريز بنت الحضرمي [٢].

اشتهرت عاتكة بنت زيد بين نساء قريش بالبلاغة والفصاحة، وقول الشعر، ولا غرابة في ذلك فأبوها زيد بن عمرو الذي اشتهر عنه قوله:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالًا
دحاها فلما استقرت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبًا زلالًا
إذا هي سيقت إلى بلدة ... أطاعة فصبت عليها سجالًا [٣]

---

(١) انظر مناقبه بالتفصيل في «دروس في مناقب الصحابة» للمؤلف.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٦٦).

(٣) «البداية والنهاية»(٢/ ٢٤٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ١٣٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٣١).

وكانت عاتكة (رضي الله عنها) من ذوات الدين والخلق، تزوجها عبدالله بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ثم أمره والده بطلاقها وعزم عليه بذلك فلم يسعه أن يخالف أمره، فطلقها واحدة وقال: [١]

يقولــون طلقهــا وخــيم مكانهــا ... مقــيمًا تمنــي الــنفس أحــلام نــائم
وإن فراقــي أهــل بيتــي جمــيعهم ... عــلى كــره منــي لإحــدى العظــائم

غير أن عبدالله تألم أشد الألم لفراق زوجه حتى أثر فيه ذلك، وشعر والده بذلك، وعرف تعلقه بعاتكة فرق له لشدة حبه لها فأذن له أن يراجعها، فارتجعها. [٢]

وقد كان خبر عبدالله بعد ذلك أن شهد مع رسول الله ﷺ الطائف، فرمي بسهم فأصابـه، فانتقض الجرح بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، فمات على أثر ذلك الجرح، فقامت زوجه عاتكة ترثيه وتقول:

فآليــت لا تنفــك نفــسي حزينــة ... عليــك ولا ينفــك جلــدي أغــبرا
فللــه عينــا مــن رأى مثلــه فتــىً ... أكــرَّ وأحمــى في الهيــاج وأصــبرا [٣]

وبعد وفاة عبدالله تزوجت عاتكة (رضي الله عنها) من عمر بن الخطاب، سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وعندما قتل عمر (رضي الله عنه) بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي قامت عاتكة ترثيه وتقول:

عــين جــودي بعــبرة ونحيــب ... لا تمــلي علــى الإمــام النجيــب
عــصمة النــاس والمعــين عــلى الدهـــ ... ـــر وغيــث المنتــاب والمحــروب

---

(١) «الإصابة» (٨/ ١١).
(٢) «المصدر السابق.
(٣) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٥٣).

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب[1][2]

ثم تزوجت عاتكة بعد عمر من الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وعاشت معه إلى أن قُتل الزبير غيلة يوم الجمل بوادي السباع، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين من الهجرة، فرثته قائلة:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرِّد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشًا رعش البنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فيما مضى مما تروح وتغتدي
كم غرة خاضها لم تثنه عنها طرادك يا ابن فقع الغدقد
والله ربِّك إن قتلت لمسلمًا حلّت عليك عقوبةُ المتعمد[3][4]

ويوم توفي رسول الله ﷺ رثته عاتكة بأبيات تفيض بالحزن، والألم على فراق خير البرية وأفضلها: قالت:

أمست مراكبه أو حشت وقد كان يركبها زينُها
وأمست تبكي على سيد تردد عبرتها عينُها
وأمست نساؤك ما تستفيق من الحزن يعتادها دينُها

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٤٠)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢/ ١٤٦)، و«تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/ ٥٧٥).

(٢) شعوب: المنية انظر «القاموس» ص ١٣٠ مادة شعب.

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٦)، و(٧/ ٢٥٠)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ١٦١)، و«الطبقات الكبرى» (٣/ ١١٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٦٧)، و«التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»، لابن أبي بكر المالقي الأندلسي ص ٢٢٤.

(٤) البهمة: الشجاع انظر القاموس ص ١٣٩٨ مادة بهم والفدفد: الفلاة وتطلق كذلك على الأرض الغليظة، والأرض المستوية، راجع القاموس ص ٣٩٠ مادة (فدد).

وأمست شواحب مثل النصال قد عُطّلت وكبا لونُها!
يعالجن حُزناً بعيد الذهاب وفي الصدر مكتنع حيْنُها
يُضربن بالكف حر الوجوه على مثلها جادها شُونُها
هو الفاضل السيد المصطفى على الحق مجتمع دينُها
فكيف حياتي بعد الرسول وقد حان من ميتة حينُها[1]

توفيت عاتكة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين[2].

❁ ❁ ❁

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٣٢).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٢٥).



أم عطية الأنصاري

الفقيهة الحافظة

أم عطية الأنصاري واحدة من فاضلات نساء الصحابة، وواحدة ممن نورن تاريخ النساء بأعمال طيبة في الجهاد والفقه ورواية الحديث.

اسمها: نُسيبة بنت الحارث الأنصارية [1].

أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار، وفي ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف كانت (رضي الله عنها) تسير في ركب الجيش الغازي، تروي ظمأ المجاهدين، وتضمد جراحهم، وترقأ دمهم، وتعد طعامهم.

فعنها (رضي الله عنها) قالت: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى [2].

---

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٦١).

(٢) رواه مسلم، وانظر «الإصابة» (٨/ ٢٦١).

وفي غزوة خيبر كانت أم عطية (رضي الله عنها) من بين عشرين امرأة خرجن مع رسول الله ﷺ يبتغين أجر الجهاد [١].

وأم عطية هي التي غسلت زينب بنت النبي ﷺ فعن أم عطية (رضي الله عنها) قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال: (**اغسلنها وترًا، ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتنها فاعلمنني**) فلما غسلناها أعطانا حقوه، فقال: (**اشعرنها إياه**)[٢].

وقد كانت أم عطية تغسل من مات من النساء في عهد رسول الله ﷺ طلبًا للمثوبة والأجر من الله -تعالى-.

كما كانت أم عطية (رضي الله عنها) فقيهة حافظة، لها أربعون حديثًا، منها في الصحيحين ستة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديث[٣].

وقد أخرج أحاديثها أصحاب السنن الأربع، وروى عنها أنس بن مالك (رضي الله عنه) من الصحابة، وروى عنها من التابعين محمد بن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وأم شراحيل، وعلي بن الأقمر، وعبدالملك بن عمير، وإسماعيل ابن عبد الرحمن [٤].

وحديثها في غسل آنية رسول الله ﷺ مشهور في الصحيح كما ذكر ذلك ابن حجر وقد كان جماعة من التابعين يأخذون ذلك الحكم[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ٣٤)، والبخاري (١٦٧) و (١٢٥٥) و (١٢٥٦)، ومسلم (٩٣٩)، وأبو داود (٣١٤٢)، والترمذي (٩٩٠) وغيرهم.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣١٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الإصابة (٢٦١).

وقد انتقلت أم عطية (رضي الله عنها) في آخر عمرها إلى البصرة[1]، واستفاد الناس من علمها وفقهها، كيف لا وهي التي روت عن النبي ﷺ فقالت: أمر رسول الله ﷺ أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور[2] وحديث: أخذ علينا النبي ﷺ مع البيعة ألا ننوح[3]. وحديث : كنا لا نعد الكدرة والصفرة شيئًا[4] وحديث: «نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»[5].

وقد عاشت إلى حدود سنة سبعين[6] - رضي الله عنها وأرضاها-.



(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢٣) ومسلم (٢/ ٦٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٤٢٩) ومسلم (٢/ ٦٤٦).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣١٨).



فاطمة بنت أسد

أم الشهيدين

إنها والدة رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي ﷺ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأم الشهداء جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)[١]. والدتها: قيلة بنت عامر بن مالك بن المصطلق، كان يقال لها الجزور لعظم خلقها[٢].

وكانت فاطمة بنت أسد تحسن إلى النبي ﷺ ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا تريد بذلك الله -تعالى- والدار الآخرة[٣].

وحين أوحي الله -تعالى- إلى رسوله الكريم ﷺ أن ينذر عشيرته وأنزل عليه

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣)، و«مستدرك الحاكم» (٣/ ١١٦)، و (٣/ ٥٥٠)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٠٠)، و(والمعجم الكبير» (٢/ ١٠٤).

(٢) «نزهة اللباب في الألقاب» لابن حجر ص ١٧٢.

(٣) انظر «الإصابة» (٤/ ٣٨٠) ط. دار صادر، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٥٦) و (٩/ ٢٥٧)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ١٥٣)، و«المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٥١).

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، امتثل ﷺ أمر ربه، ودعا أقاربه إلى خيري الدنيا والآخرة، وكانت فاطمة بنت أسد من النساء اللاتي سارعن إلى الإيمان بالله ورسوله، ﷺ[1]، ولما بدأت الهجرة كانت من المهاجرين الأول[2].

ولمكانتها من رسول الله ﷺ فقد كان يتحفها بالهدية، قال علي (رضي الله عنه): أهدى إلي رسول الله ﷺ حملة إستبرق، فقال: (**اجعلها خُمُرًا بين الفواطم**) فشققتها أربعة أخمرة، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ وخمارًا لفاطمة بنت أسد، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة، ولم يذكر الرابعة[3].

ولقد كان لفاطمة بنت أسد (رضي الله عنها)مكانة سامية في نفوس الصحابة، فهذا الحجاج بن علاط السلمي يمدح علي بن أبي طالب عندما قتل طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين يوم أحد، ويذكر أمه فاطمة:

لله أي مذنب عن حربه ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجندلًا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالحق إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لترده حران حتى ينهلا[4]

---

(١) انظر «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٩٢)، و«فتح الباري» (٧/ ٧١)، و«تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٥٤)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٢٢) و«إيضاح الإشكال» لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ص ١٥٠.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٨).

(٣) الإصابة (٨/ ٨٢) والآحاد والمثاني (٥/ ٤٦٦) قال ابن حجر: ولعل الرابعة: فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٣٧).

وجاء في خبر وفاتها أنها لما توفيت ألبسها النبي ﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله ، صنعت هذا! فقال: **(إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها. إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليُهون عليها)**[1]. - رضي الله عنها وأرضاها-.



(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعدان بن الوليد السابري ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
وانظر «المعجم الأوسط» (٧/ ٨٧)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٥٦) و (٩/ ٢٥٧) و«حلية الأولياء» (٣/ ١٢١).



فاطمة بنت الخطاب

فاطمة بنت الخطاب صحابية جليلة، رفيعة القدر، سباقة، مجاهدة، أسلمت قديمًا مع زوجها سعيد بن زيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم(١)، وهي أخت أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، إمام كبير من عظماء الصحابة وأحد العشرة المبشرين بالجنة(٢)، وأمها حنتمة بنت هاشم بن المغيرة القرشية المخزومية(٣).

لقد كانت فاطمة بنت الخطاب من الأسباب التي غيرت مسار أخيها عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك أن مما يلفت النظر في سيرة فاطمة (رضي الله عنها) موقفها مع أخيها عمر.

---

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ٦٢)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٦٧).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٣٧)، و (٣/ ٧٩)، و «الإصابة» (٨/ ٢٦٧).

(٣) انظر « تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٥٦٢)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ٩٥)، و «الإصابة» (٤/ ٥٨٨) و«الطبقات الكبرى» (١/ ٢٢)، و (٣/ ٢٦٦)، و (٨/ ٢٦٧).

لقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) معروفًا قبل إسلامه بعداوته لرسول الله ﷺ، فخرج يومًا متوشحًا سيفه يريد قتله ﷺ ، فلقيه نعيم بن عبدالله ابن النحام[١]، فقال: أين تعمد يا عمر؟

قال: أريد أن أقتل محمدًا.

قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمدًا ؟

فقال عمر : ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي كنت عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد أسلما، وتركا دينك الذي أنت عليه.

فمشى عمر مغضبًا حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت (رضي الله عنه) معه صحيفة فيها سورة «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر توارى خباب في البيت، وأخفت فاطمة الصحيفة، وكان عمر قد سمع حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها؟ فقالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما، فقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه!

فقال له صهره سعيد: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك، فلم يتمالك عمر نفسه، فوثب على سعيد فوطئه، وبطش به، فقامت فاطمة تريد دفعه عن زوجها، فضربها بيده ضربة أدمت وجهها. فقالت فاطمة (رضي الله عنها): يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ذلك، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت له أخته فاطمة وقد طمعت في إسلامه، إنك رجس

---

(١) صحابي جليل، استشهد يوم اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة، وقيل يوم أجنادين، انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٤).

ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب فقرأ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ١ - ٥] فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج من مخبئه، وأسرع نحو عمر وقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة الرسول ﷺ لك ليلة الخميس: (**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**)، ورسول الله ﷺ الآن في الدار في أصل الصفا، وسار عمر إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه[1].

ولقد سجل الشاعر أحمد شوقي -رحمه الله- نظمًا جميلًا بين فيه دور فاطمة في إسلام أخيها عمر، ومنه قوله:

ثار إلى حيث النبي مُوعِدًا ... ومبرقًا بسيفه ومُرعِدا

فجاءه مُوحد من الزمر ... وقال جيء أهلك فانظر يا عمر

وحدت الله ابنةُ الخطاب ... وآمن السعيد في الأختاب

فجاءها معتزم الشراس ... وكان صلبًا خشن المراس

فراعه من الخباء هنيمه ... وصوت مستخفية مرنمة

فقال: ما أسمع؟ قالت: «طه» ... .. فلم يصوبها ولا خطاها

وقال وعرفان الصواب مكرمة ... فاطم هذا منطق ما أكرمه!

وآنست سكينة الحواري ... من رجل في صحوة سوَّار

---

(١) انظر الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٨)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٨١) و«الإصابة» (٤/ ٥٩٠)، و(٨/ ٦٢)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (/ ٢٨٠).

كحمـــل مـــدلل صـــار الأســـد والـــصارم المـــسلول عـــاد كالمـــسد
فجـــاء نـــادى النبـــي فاهتـــدى وكـــبر الهـــادي وهـــلّ المنتـــدى[1]

وقد روى أن عمر -رضي الله عنه- قال أبياتًا من الشعر يبين فيه إسلامه وتأسفه على ظلم أخته وهي قوله:

الحمـد لله ذي المـن الـذي وجبـت لـه علينـا أيـاد مـا لهـا غِـيَر
وقـد بـدأنا فكـذبنا فقـال لنـا صـدق الحـديث نبـي عنـده الخـبر
وقد ظلمتُ ابنة الخطاب ثم هدى ربي عشية قالوا: قد صبا عمر
وقد ندمتُ على ما كان من زلل بظلمها حين تُتلى عندها السُّور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنتُ أن الذي تدعوه خالقها فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت: أشهد أن الله خالقنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة وافى الأمانة ما في عوده خور
يتلو من الله آيات منزلة يظل يسجد منها النجم والشجر
به هدى الله قومًا من ضلالتهم وقد أعدت لهم إذا أبلسوا سقر[2]

رضي الله -تعالى- عن فاطمة وأخيها، وأرضاهما، وجزاهما عن الإسلام خير ما يجزي به المتقين الأبرار.

❁ ❁ ❁

(١) «نساء من عصر النبوة» (٢/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) «الروض الأنف» للسهيلي (٢/ ١٠٠)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٢٨٤).



الفريعة بنت مالك

ابنة الشهيد

الفريعة بنت مالك بن سنان الخدرية إحدى نساء الصحابة اللاتي بذلن كل ما يملكن في سبيل الدفاع عن الدين طلبًا للفوز في الآخرة.

أبوها مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي الخدري الصحابي الجليل(١). وأمها: حبيبة بنت عبدالله بن أبي(٢) وأخوها الشقيق مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الخدري(٣)، أحد أبطال غزوة الخندق، وأحد الأعلام في بيعة الرضوان.

وأخوها لأمها قتادة بن النعمان الأنصاري الظفري(٤)، شهد المشاهد كلها مع

---

(١) «الإصابة» (٨/ ٧٣)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ١١٠).

(٢) انظر «الإصابة» (٨/ ٧٣).

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) «الطبقات الكبرى»(٨/ ٣٦٦)، و«تاريخ بغداد» (١/ ١٨٠).

النبي ﷺ وكان من الرماة المعدودين[1].

وبين هذه الفئة الطيبة نشأت الفريعة بنت مالك (رضي الله عنها) تنهل من المكارم والفضائل، وتكتسب من الأخلاق معاليها.

واحتسبت الفريعة وصبرت على موت زوجها سهل بن رافع بن بشير الخزرجي[2] الذي عاشت معه مدة، حيث إنه خرج مرة في طلب عبيد له فغدروا به وقتلوه قرب المدينة النبوية، وقد سألت رسول الله ﷺ أن تمكث في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله، فاعتدّت في بيتها أربعة أشهر وعشرا[3]، وامتثلت بذلك أمر النبي ﷺ، فلما تمت عدتها، وبلغ الكتابُ أجله خلف عنها سهل بن بشير بن عنبسة أحد بني ظفر من الأنصار[4].

وظلت الفريعة تتابع أحداث الإسلام في أطواره المختلفة، وتشارك في الأمور التي يسمح بها دينها، وكانت (رضي الله عنها) -من أصحاب النبي ﷺ- الذين بايعوا تحت الشجرة بالحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وبذلك كانت من أولئك النفر الذين أثنى الله -تعالى- عليهم بقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨][5].

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩١) و«الإصابة» (٥/ ٤١٦) و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٣٢).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٦٦).

(٣) الحديث رواه مالك في الموطأ (٢/ ٥٩١)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٧٠)، وانظر «الآحاد والمثاني» (٦/ ١١٠)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٦٧).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٦٧).

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٦٧).

وبيعة الرضوان هذه التي حضرتها الفريعة هي التي دعا إليها رسول الله ﷺ لما طال احتباس عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بمكة، وقد نالت بذلك بشارة النبي ﷺ كما جاء عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عن حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد: الذين بايعوا تحتها**» قالت: بلى، يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: قد قال الله (عز وجل): ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] [1].

رضي الله عن الفريعة بنت مالك الصابرة المجاهدة، والعابدة الخاشعة.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦)، وأحمد (٦/ ٤٢٠).



أم الفضل

زوج العباس عم النبي ﷺ أم النجباء

أم الفضل لبابة بنت الحارث هي زوج العباس بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ وأخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية (رضي الله عنهم)[1] وأم الرجال الستة النجباء وهم: «الفضل وكان أكبر ولد العباس، وبه يكنى، وكان جميلًا، أردفه رسول الله ﷺ في حجته، ومات بالشام في طاعون عمواس وليس له عقب. وعبدالله وهو حبر الأمة، معروف، وعبيدالله وكان جوادًا سخيًا، مات بالمدينة وله عقب، وعبد الرحمن، مات بالشام وليس له عقب، وقُثم، وكان يشبه بالنبي ﷺ وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا، فمات بسمرقند، ليس له عقب، ومعبد وقتل بإفريقية شهيدًا وله عقب»[2].

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤٧).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/ ٦).

وفيها قال عبدالله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحل رجبل نعلمه وسهل
كسته من بطن أم الفضل أكرم بها من مكهله وكهل[1]

أسلمت أم الفضل (رضي الله عنها) قبل الهجرة، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين (رضي الله عنها)[2]، وكان ابنها عبدالله يقولك كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان[3].

كانت أم الفضل (رضي الله عنها) شجاعة في الحق لا تخشى لومة لائم، والموقف الآتي يصور لنا ذلك:

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «كنت غلامًا للعباس، وكان الإسلام فأسلم العباس سرًا، وأسلمت أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه.

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكانوا إذا تخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلًا.

فلما جاء الخبر من مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه، فوجدنا في أنفسنا قوة وعزًا قال: وكنت رجلًا ضعيفًا ، أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشرّ حتى جلس. فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم. فقال أبو لهب: هلم إليَّ، فعندك لعمري الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف أمر الناس؟

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/ ٦) و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٨٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٧٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٥).

فقال أبو سفيان: والله ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالًا بيضًا على خيل بلق بين الناس، والأرض والله لا يقوم لها شيء.

وقال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فاحتملني وضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلًا ضعيفًا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فَلَقَتْ في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده!! فقام أبو لهب موليًا ذليلًا، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة[١] فقتلته[٢].

وهكذا فعلت المرأة المؤمنة بعدو الله، حيث داست كبرياءه، ومرغت كرامته بالوحل.

ومن أخبار أم الفضل (رضي الله عنها) ما رواه ابن سعد في طبقاته أن أم الفضل (رضي الله عنها) رأت في منامها حلمًا عجيبًا فذهبت لتوها إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأن عضوًا من أعضائك في بيتي!! فقال رسول الله ﷺ: «**خيرًا رأيت، تلد فاطمة غلامًا وترضعينه بلبان ابنك قثم**».

وخرجت أم الفضل بهذه البشرى الكريمة، وما هي إلا فترة وجيزة حتى ولدت فاطمة الحسين بن علي (رضي الله عنه) فكفلته أم الفضل.

---

(١) العدسة: بثرة تخرج بالبدن فتقتل، انظر «القاموس المحيط» ص ١١٧ مادة (عدس).

(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ٣٠٩)، و «الطبقات الكبرى» (٤/ ٧٤)، و«حياة الصحابة» للشيخ محمد الكاندهلوي (٤/ ٣٦٥).

قالت أم الفضل: فأتيت به رسول الله ﷺ فهو ينزيه ويقبله، إذ بال على رسول الله ﷺ فقال: «**يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال عليَّ**».

قالت: فأخذته، فقرصته قرصة بكى منها، وقلت: آذيت رسول الله ﷺ بلتَ عليه، فلما بكى الصبي قال رسول الله ﷺ : (**يا أم الفضل آذيتني في بُني، أبكيته**).

ثم دعا بماء، فحدره عليه حدرًا، ثم قال: إذا كان غلامًا فاحدروه حدرًا، وإذا كان جارية فاغسلوه غسلًا» [١].

ومن أخبار أم الفضل (رضي الله عنها) -وفيها دلالة على حكمتها- أن ناسًا من الصحابة تماروا يوم عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلت أم الفضل إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه [٢]، وأزالت (رضي الله عنها) بعملها هذا الالتباس الذي حصل عند القوم.

توفيت في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنها) [٣].

رحم الله -تعالى- أم الفضل، ورضي الله عن أم الرجال الستة النجباء، الشجاعة المؤمنة، السبَّاقة إلى الإسلام.



(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/ ٢٧٨، ٢٧٩) وحسنه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٨)، ومسلم (١١٢٣).

(٣) انظر «الإصابة» (٨/ ٢٧٦).



أم معبد الخزاعية

«اللهم بارك لها في شاتها»

أم معبد الخزاعية صحابية جليلة، اسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ أخت حبيش بن خالد الخزاعي الكعبي الصحابي[1]، وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية (رضي الله عنها) ومما يميزها قصتها مع الرسول ﷺ كما في الطبقات الكبرى لابن سعد: عن أبي معبد الخزاعي (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهم عبدالله بن أُريقط الليثي، فمروا بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلْدة، برزة ، تحتبي وتقعد بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها تمرًا أو لحمًا يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك... فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٩٠)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ٢٥٣) و«الإصابة» (٢/ ٢٧)، (٨/ ٣٠٦).

معبد؟ قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا! فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله، وقال: «**اللهم بارك لها في شاتها**». قال: فتفاجت عليه ودرَّت واجترت، فدعا بإناء لها يُربض الرهط، فحلب فيه ثجًا حتى علاه الثُّمال فسقاها، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب ﷺ آخرهم، وقال: «**ساقي القوم آخرهم**»، فشربوا جميعًا عللا بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا حُيلًا عجافًا هزلى، مُخهن قليل لا نقي بهن، فلما رأى اللبن عجب، وقال من أين لكم هذا والشاة عازبة، ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يُطلب، صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، مبتلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثُجلة[1]، ولم تُزر به صُقلة[2]، وسيم قسيم، في عينيه دعـج[3]، وفي أشفاره وَطَف[4]، وفي صوته صحل[5]، أحور أكحل أزج أقرن[6]، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع[7]، وفي لحيته كثافة[8]، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما

---

(١) ضخامة البطن.

(٢) دقة ونحول.

(٣) شدة سواد العين.

(٤) طول شعر أشفار العين.

(٥) ليس بحاد الصوت.

(٦) أزج: الزج دقة شعر الحاجبين وأقرن: القرن: أن يتصل ما بينهما بالشعر.

(٧) أي إشراف وطول.

(٨) دقة شعر نبات اللحية مع استدارة فيها.

وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر[١]، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود[٢] محشود[٣]، لا عابث ولا مفنَّد[٤]. قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكر، ولو كنتُ وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وأصبح صوت بمكة عاليًا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه ... رفيقين حلّا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يجازى وسُودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلّبت ... له بصريح ضرة الشاة مُزبد
فغادره رهنًا لديها لحالب ... تدرّ بها في مصدر ثم مورد[٥]

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وبعض أهل العلم ينكر ما جاء

---

(١) أي ليس بقليل فيدل على عي ولا بكثير فاسد، قاله في القاموس ص ٦١٩.

(٢) أي مخدوم.

(٣) أي محفوف به.

(٤) أي ليس بظالم. انظر هذه المعاني وما قبلها «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص٧٣٤.

(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٢٣٠-٢٣١) والحاكم في مستدركه (٣/ ١١) وصححه ووافقه الذهبي، و«البدايات والنهاية (٣/ ١٨٩). و«الآحاد والمثاني» (٦/ ٢٥٢)، والإصابة (٨/ ٣٠٧)، و«معرفة علوم الحديث» ص ٩٣، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢/ ٤٧١)، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤/ ٧٧٧).

فيه من السجع والشعر كما في كتاب «سؤالات أبي عبيد الآجري» أن أبا داود قال: «أخشى أن يكون مصنوعًا – يعني الكلام السجع والشعر، فأما الشاة واللبن فلا»(١).

وما أجمل ما سطره أحمد محرم -الشاعر الإسلامي- (رحمه الله) في ديوانه «مجد الإسلام» حين قال يصف هذا الحدث اللطيف في خيمة أم معبد :

ما حديث لأم معبد تستسقيه ظمأى النفوس عذبًا نميرًا
سائل الشاة كيف درت وكانت كزة الضرع لا ترجي الدرورا
بركات السمح المؤمل يَقرى أمم الأرض زائرًا أو مزورا
مظهر الحق للنبوة سبحا نك ربًا فرد الجلال قديرًا(٢)

ولقد أثر الحديث في قلب أم معبد يدل على ذلك أنها حين مر بها فتيان قريش وسألوها عن رسول الله ﷺ وكانوا يلاحقونه أشفقت عليه منهم، فتعاجمت عليهم، وقالت لهم: إنكم تسألون عن شيء ما سمعت به قبل عامي هذا(٣).

عاشت أم معبد إلى زمان عثمان (رضي الله عنه)(٤).

رحم الله -تعالى- أم معبد عاتكة بنت خالد، ورضي عنها وأحسن مثواها، وجعلها في عليين، مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والحمد لله رب العالمين.



(١) ص ١٢٩.
(٢) ديوان مجد الإسلام لأحمد محرم ص ٥٦، ٥٧.
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٨٩).
(٤) سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني (١/ ١٣٠).



أم المنذر بنت قيس

الخالة الكريمة

أم المنذر بنت قيس إحدى خالات النبي ﷺ[1]. اسمها: سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد.

وأم المنذر هذه هي أخت سُليط بن قيس، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد أبطال معركة الجسر الشهيرة مع أبي عبيدة، حيث قُتل يوم الجسر سنة أربع عشرة من الهجرة، ولم يكن له عقب[2][3].

وأم المنذر من النساء اللائي بايعن رسول الله ﷺ، وكان لهذه البيعة قصة ترويها بنفسها فتقول: «جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فلما

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٠٣)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٨٧).

(٢) انظر ترجمته في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥١٢).

(٣) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٠٣).

شرط علينا ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: «**ولا تغششن أزواجكن**» قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا؟ قال: فسألته، فقال: «**تأخذ ماله فتحابي به غيره**»[1].

ومن أخبار هذه الصحابية الطيبة أن النبي ﷺ قال لها يومًا: (مالك يا أم المنذر؟).

قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، رفاعة بن سموأل كان يغشانا- يزورنا- ولنا به حرمة فهبه لي.

وكان رسول الله ﷺ قد رأى رفاعة يلوذ بها، فقال: (نعم هو لك).

ثم قالت: يا سول الله : إنه سيصلي ويأكل لحم الجمل.

فتبسم- عليه الصلاة والسلام- ثم قال: (إن يصلِّ فهو خير له، وإن يثبت على دينه فهو شر له) ثم أطلقه ﷺ.

قالت أم المنذر: فأسلم رفاعة[2].

ولهذه الصحابية الجليلة مكانة خاصة عند النبي الكريم ﷺ، فقد كان يخصها بالزيارة ويأكل عندها، ويشير إلى أن طعامها ذو بركة، وذو نفع، فعنها قالت: «دخل رسول الله ﷺ ومعه علي ناقه[3] ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله ﷺ يقول لعلي: «**مه إنك ناقه**» حتى كفَّ علي. قالت وصنعت شعيرًا وسلقًا، فجئت به فقال

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٨٠ و ٤٢٣).

وانظر «الآحاد والمثاني» (٦/ ١٧٦)، و «الإصابة» (٧/ ٧٠٧).

(٢) أورده ابن كثير- رحمه الله- في البداية والنهاية (٤/ ١٢٨).

(٣) أي متماثل للشفاء.

رسول الله ﷺ: «يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك»[١].

ومن مناقب هذه الصحابية الجليلة أنها أعلنت بيعتها للمرة الثانية مع الرسول ﷺ، ولذلك سميت مبايعة البيعتين[٢] وكانت هذه البيعة تحت الشجرة في بيعة الرضوان في السنة السادسة من الهجرة، حينما احتجز المشركون بمكة عثمان (رضي الله عنه)، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة التي أمر الله -تعالى- بها، وسارعت أم المنذر في جمع من الصحابيات يبايعن على الموت، فدخلت بذلك في قوله ﷺ: (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)[٣].

رضي الله -تعالى- عنها وأرضاها.



(١) رواه أبو داود، والترمذي- كلاهما في الطب وقال الترمذي: حسن غريب، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٦٤)، وابن ماجه (٣٤٤٢)، وذكر ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٣١١) أن أم المنذر هذه غير سلمى بنت قيس، ونقل عن بعضهم أنهما واحدة، والله أعلم.

(٢) انظر «حلية الأولياء» (٢/ ٧٨).

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة، والترمذي في المناقب.



كبشة بنت رافع

أم الأبطال

كبشة بنت رافع واحدة من المؤمنات الصادقات اللاتي قدّمن أروع آيات الصبر والجهاد منذ أن أشرقت أنوار الرسالة المحمدية في المدينة النبوية[1].

وهذه الصحابية الجليلة قدمت للإسلام خدمات عظيمة، ففي بيتها ترعرعت نواة الإسلام، ومن ثنايا دارها فاحت روائح الطيب في المدينة كلها، فانتشر فيها الإسلام، فكانت بركة وخيرًا على الدنيا كلها.

وهذا الصحابية الكريمة هي أم سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته.

نعم هي أم من حكم بحكم الله من فوق سبع سموات[2].

---

(١) انظر «الإصابة» (٧/ ٥٥٨).

(٢) انظر «الإصابة» (٣/ ٨٤).

كانت كبشة زوجة لمعاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل، وقد ولدت له سعدًا وعمرًا وإياسًا وأوسًا وعقربًا وأم حزام[1].

أسلمت كبشة، وبايعت رسول الله ﷺ فأضحت بذلك من السابقات في مضمار الخير، حيث كانت أول من بايع النبي ﷺ مع أم عامر بنت يزيد بن السكن، وحواء بنت يزيد بن السكن[2].

ومن أولادها المجاهدين عمرو بن معاذ، وكان عمرو (رضي الله عنه) يجالد في صفوف المشركين في غزوة أحد حتى لقيه ضرار بن الخطاب فقتله- وكان يومئذ ما يزال على شركه-[3].

ومن مواقف الصبر والجهاد لهذه الصحابية الجليلة موقفها يوم الخندق حيث كانت مع أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في حصن بني حارثة، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه حين خرجوا إلى الخندق قد رفعوا الذراري والنساء في الحصون مخافة العدو عليهم، فقالت عائشة (رضي الله عنها): فمرَّ سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة- قصيرة- قد خرجت منه ذراعه كلها، وفي يده حربة يرفل بها وهو يرتجز بيتًا من الشعر لحمل بن سعدانة الكلبي ويقول:

لبثت قليلًا يشهد الهيجا حَمَل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت أم سعد (رضي الله عنها): الحق يا بني فقد والله أخرت[4].. وبهذه الكلمات تظهر لنا شجاعة أم سعد وحرصها على ابنها أن لا تفوته لحظة دون أن

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٧٠).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٣٠) و (٨/ ١٢) ، و «الإصابة» (٧/ ٥٥٨).

(٣) انظر «الإصابة» (٤/ ٦٨٥)، و «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٣٦).

(٤) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١٠٨)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٩٥).

يحظى بمعية رسول الله ﷺ، والجهاد معه، وهو درس لجميع أمهات المسلمين اللائي فرطن في تربية أبنائهن على الجهاد والتضحية في سبيل الله -تعالى- والدفاع عن شريعته.

رحم الله -تعالى- كبشة بنت رافع الأم الصادقة، والمجاهدة الصابرة، ورضي الله عنها وأرضاها.





أم عمارة. نسيبة بنت كعب المازنية

الفاضلة المجاهدة

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار[1]. تزوجت من زيد بن عاصم بن كعب، والد حبيب الذي قتله مسيلمة الكذاب، وتزوجت بعد زيد بن عاصم غزية بن عمرو بن عطية، وهو ممن شهد العقبة وأحدًا[2].

دخلت نسيبة في دين الله -تعالى- وأدركت طبيعة المعركة التي تدور بين الدعاة والمشركين، فلم تجد عذرًا في القعود عن نصرة هذا الدين.

قال السيوطي: «كانت من كبار نساء الصحابة، وكانت تغزو كثيرًا مع النبي ﷺ تمرض المرضى[3] وتداوي الجرحى! وهي منذ اليوم الذي بايعت فيه رسول الله

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٦٨).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١٢).

(٣) «إسعاف المبطأ» ص ٣٦. وانظر «صفة الصفوة» (٢/ ٦٤).

ﷺ قد حملت مسؤوليتها، وشاركت في كل المواقف التي تحضرها.

قال الذهبي: «شهدت أم عمارة ليلة العقبة وشهدت أحدًا والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة وجاهدت وفعلت الأفاعيل»(١).

ففي معركة أحد وقفت نسيبة تدافع عن رسول الله ﷺ وحولها أبناؤها المؤمنون مع القلة الصابرة المؤمنة من حول رسول الله ﷺ.

عن سعيد بن زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول:

دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحًا له غور، فقلتُ: مَنْ أصابك بهذا؟

قالت أم عمارة: ابن قمئة، أقمأه الله، لمّا ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قمئة يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان(٢).

وهكذا نرى أن نسيبة (رضي الله عنها) لم تتردد ولم تجبن، ولم تهرب، بل كان القرار الحاسم قرارًا شجاعًا واعيًا ، وكـان التنفيذ قويًا على مستوى الإيمان

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٨)، وانظر «مسند أحمد» (٣/ ٤٦١).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٤)، و«الإصابة» (٨/ ٢٦٦). و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٩).

ومستوى الخطر المحدق بالإسلام.

إن اهتمام نسيبة بالإسلام وأمر الدعوة، وإحساسها بمسؤوليتها في حماية الدعوة والدفاع عن رسول الله ﷺ لم يكن بأقل من اهتمام الرجال من الصحابة الأجلاء. ولقد كان موقفها عظيمًا عندما ثبتت مع القلة القليلة من المؤمنين، وكان ثباتها كثبات الجبال.

وماذا تصنع امرأة في ذلك الموقف أكثر مما صنعت أم عمارة آنذاك؟

بل ماذا يصنع رجل في ذلك الموقف أكثر مما صنعت أم عمارة؟ !

ألم يقتل ابن قمئة – المحاط بالسلاح والدروع – مصعب بن عمير الصحابي المجاهد، حامل الراية، الصابر المحتسب، والشهيد البطل؟

ألم ينفذُ هذا المجرم إلى مكان القيادة وهو يطاعن البقية الباقية من المسلمين، ويتلقى ضرباتهم بالترس والدرعين اللذين على جسده؟ فها هي نسيبة المجاهدة تتصدى له بقوة وثبات يضربها وتضربه، لا يستطيع أن يتلقى ضرباتها، ولكن دروعه تمنعها من قتله، ويضربها على عاتقها ضربة شديدة، فيجرحها جرحًا عميقًا.

يالله! كيـف واصلت القتال والجرح ينزف، وله غور حتى إنَّ الكفَّ لتغيب فيه من عمقه وشدته؟

وهكذا نجد أن أمر العقيدة حين يبلغ هذا التوجه الواعي، وهذه المواقف العظيمة حينما يغزو الإسلام -وهو شعلة هادئة- أفكار الناس وقلوبهم، ويدخل بقاع الدنيا كلها، يصبح المسلمون حماة صادقين، وتتحول المواقف اليومية اليسيرة أمثولة يحتذيها الناس في كل مكان[1].

وانتهت معركة أحد وكانت أم عمارة من بين الجرحى من المسلمين بعد أن

---

(١) «نسيبة بنت كعب المازنية» تأليف محمد حسن بريغش، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٩).

سقت العطشى، وداوت الجرحى، وشجعت المقاتلين، وأمدتهم بالمؤونة، وباشرت القتال حتى استحقت ثناء الرسول ﷺ عليها حين قال لابنها عبدالله بن زيد بن عاصم: «**بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان**» فقالت أم عمارة: «ادع الله أن نرافقك في الجنة» فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**) قالت: « ما أبالي ما أصابني من الدنيا»[١].

وبعد أحد نرى أن أم عمارة (رضي الله عنها) لم تترك موطئًا إلا حضرته مع رسول الله ﷺ ، وكأنها أصبحت جزءًا من الدعوة، ترى أن الإسلام قضيتها الأولى، فتتحرك معها، وتتابع أحداثها، وتعي ما يدور حولها فترى ما يكيده أعداء الدعوة من مكائد، وما يعملون من مؤامرات.

ولقد وقفت أم عمارة (رضي الله عنها) أمام المصائب وقوف الصابرين المحتسبين فعندما أرسل الرسول ﷺ ابنها حبيبًا برسالة إلى مسيلمة الكذاب يدعوه فيها إلى الإسلام ما كان من مسيلمة إلا أن قتله وقطّعه، وعند ذلك علمت نسيبة -أم عمارة- بجريمة مسيلمة وطغيانه، فاستقبلت الخبر بصبر وثبات، وعاهدت ربها أن تموت دون مسيلمة أو تقتله وتثأر لابنها الشهيد، وانتظرت مسيرة الجيش إلى اليمامة، فخرجت مع ابنها عبدالله في جيش المسلمين بقيادة خالد ابن الوليد (رضي الله عنه).

وهناك اشتد القتال، واستأسد مسيلمة وأعوانه بعدما انهزم أول جيش اصطدم به، ولكن الجيش الذي قاده خالد كان أكثر إصرارًا على النصر واقتلاع شوكة الباطل.

واحتدم القتال وسقط الكثير من المسلمين شهداء، وارتفعت هتافات الإيمان:

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته (٨/ ٤١٤، ٤١٥)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١).

الله أكبر، واقتحم الصحابة من أهل بدر وأحد صفوف المرتدين، وشتتوا جموعهم، وهرب مسيلمة يلتمس النجاة مع الآلاف الباقية من جنده، والتجأ إلى بستان مسور، وأحكم إغلاق الباب.

وهناك كانت بطولات يقف أمامها التاريخ مدهوشًا، واقتحم المسلمون البستان بعد أن ألقوا بواحد منهم وراء الباب حتى فتحه، وكانت نسيبة تندفع مع الجموع الإسلامية إلى حديقة الموت، واستمر القتال.

كانت تبحث عن عدو الله، وكان دون ذلك جموع وأبطال أشداء، لكنها تدربت على اقتحام كتائب الأبطال، وعرفت الجموع مسيلمة فاقتحمت الجموع حوله مع ابنها، ووصلوا إليه حتى أصابه ابنها عبدالله بضربة قاتلة، وقذفه وحشي بحربته الصائبة، فخر عدو الله صريعًا، وشفى الله صدرها، وانتقمت من عدو الله وعدوها[1].

وعادت نسيبة بعد أن شاركت في هذه المعركة العظيمة، وانتقمت لموت ابنها بعدما أُصيبت باثني عشر جرحًا، وقطعت يدها، وعادت إلى المدينة لتضميد جراحها[2]، روت أم سعد بنت سعد بن الربيع (رضي الله عنها) قالت: «رأيت نسيبة بنت كعب ويدها مقطوعة، فقلت لها: متى قطعت يدك؟ قالت: يوم اليمامة، كنت مع الأنصار، فانتهينا إلى حديقة، فاقتتلوا عليها ساعة حتى قال أبو دجانة: احملوني على الترسة.. فحملت وأنا أريد عدو الله مسيلمة الكذاب، فعرض إلي رجل منهم، فضربني فقطع يدي، فوالله ما عرجت عليها ولم أزل حتى وقعت على

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٦٨)، و«نسيبة بنت كعب» مرجع سابق.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٨).

الخبيث مقتولًا وابني يمسح سيفه بثيابه، فقلت له: أقتلته يا بني؟ قال: نعم يا أماه، فسجدت لله شكرًا[1].

كانت في بيتها تداوي جراحها، وتنتظر أن تشترك في موطن آخر.

وعلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بما أصاب نسيبة من قطع يدها وإصابتها من الجراح، فكان يأتي إليها يعودها، ويسأل عنها، ويطمئن على حالها، وهكذا يرفع الإسلام أهله، وينظم مجتمعه، فيذهب خليفة المسلمين وصاحب رسول الله ﷺ ليسأل عن امرأة من الأنصار، ويطمئن عليها[2].

وكان عمر (رضي الله عنه) يجلها ويكرمها تقديرًا لمكانتها العظمى في الإسلام كما ذكر الذهبي في (السير) عن موسى بن حمزة بن سعيد عن أبيه قال: أُتي عمر بن الخطاب بمروط فيها مرط جيد فبعث به إلى أم عمارة[3].

ولم تكن نسيبة (رضي الله عنها) مع اشتغالها بالذود عن حياض الإسلام بالغافلة عن التعبد لله رب العالمين كما روى حبيب بن زيد عن مولاة لهم يقال لها: ليلى عن جدته أم عمارة بنت كعب أن النبي ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعامًا فقال: كُلي، فقالت: إني صائمة، فقال: «**إن الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة**»[4].

هذه هي نسيبة المرأة الداعية المربية، المرأة التي تعد الأبطال، وتربي الرجال، تؤمن وتبايع فتصدق البيعة، وتكون في طليعة النساء المسلمات بالإيمان والصدق

---

(١) «نصب الراية» (٢/ ٣٠١).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١)، ونسيبة بنت كعب.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١).

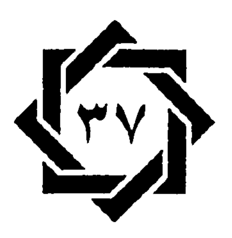
(٤) رواه الترمذي في الصوم والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والثبات، تضع للمسلمين -رجالًا ونساءً- معالم الطريق واضحة، وصورة للتضحية، ونموذجًا للاحتذاء»[1].

فرضي الله عنها وأرضاها، ورزق المسلمين الاقتداء بها والسير عن منوالها.



(١) «نسيبة بنت كعب» محسن حسن بريغش.



أم هشام بنت حارثة

الحافظة المحدثة

أم هشام بنت حارثة بن النعمان إحدى نساء الإسلام اللاتي نور الله – تعالى- قلوبهن بالعلم والإيمان.

أبوها حارثة بن النعمان واحد من فضلاء الصحابة الأنصار الأطهار، وأمها أم خالد بنت عبد الرحمن بن يعيش الأنصارية من بني مالك، أسلمت وبايعت النبي ﷺ وكانت من فواضل النساء، تزوجها حارثة بن النعمان (رضي الله عنه) فولدت له عبدالله، وعبد الرحمن، وسودة، وعمرة، وأم هشام التي نتحدث الآن عن سيرتها [1].

في رحاب تلك الأسرة الكريمة نشأت أم هشام بنت حارثة، وفي ظلال الجوار لرسول الله ﷺ عاشت أم هشام، حيث سعدت بمشاركة رسول الله ﷺ

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ٣١٩).

في استخدام بعض المتاع، تقول (رضي الله عنها): كان رسول الله ﷺ معنا، وإن تنورنا وتنوره واحد، سنة أو بعض سنة[١].

ولقد جمعت أم هشام (رضي الله عنها) حفظ القرآن ورواية الحديث كما ثبت في الحديث: «وما حفظتُ ق والقرآن المجيد إلا من في رسول الله ﷺ»[٢]. وكانت (رضي الله عنها) من أهل بيعة الرضوان، وقصة ذلك أنه حين أعلن رسول الله ﷺ أنه متوجه إلى مكة معتمرًا، تبعه جمع كبير من المهاجرين والأنصار، بلغ عددهم ألفًا وأربعمائة، وخرجت أم هشام بنت حارثة مع جمع من النساء لأداء العمرة بصحبة الرسول ﷺ ولكن قريشًا حينما علمت بمسير رسول الله ﷺ معتمرًا منعتهم من أداء العمرة. وكان ﷺ قد أرسل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى قريش ليكلمهم في أمر هذه العمرة فاحتبسته قريش عندها مدة، وبلغ رسول الله ﷺ إذ ذاك أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله ﷺ إلى مناجزة القوم، ورغب في البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وسارع الصحابة يبايعون رسول الله ﷺ على الموت أو عدم الفرار[٣]، وكانت أم هشام قد بايعت من بايع، فنالت بذلك مرضاة الله -تعالى- كما قرره القرآن، إذ يقول سبحانه: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، وانظر «الإصابة» ٨/ ٣١٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) هذا الاختلاف راجع إلى الاختلاف في متعلق البيعة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] هل هو: الموت أو عدم الفرار؟- راجع تفسير الآية في «البحر المحيط» لأبي حيان.

عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨][1].

ولم يطل احتباس عثمان (رضي الله عنه) عند المشركين، حيث عاد سالمًا إلى رسول الله ﷺ، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو[2] ليعقد صلحًا مع رسول الله ﷺ فكان صلح الحديبية[3].

وهكذا وفق الله -تعالى- أم هشام للدخول في هذه البيعة العظيمة فنالت بذلك الشرف العظيم، حيث (رضي الله عنها) وأنزل السكينة عليها مع سائر المؤمنين وأثابهم فتحًا قريبًا.



---

(١) وانظر «الإصابة» (٨/ ٣١٩)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٤٢).

(٢) هو أحد سادات قريش وأشرافهم، أسلم يوم الفتح، واستشهد باليرموك سنة ١٨ (رضي الله عنه)، انظر «الإصابة» (٣/ ٢١٣).

(٣) انظر «الإصابة» (٣/ ٢١٣)، و«أخبار مكة» (٥/ ٧١). قال ابن حجر يعني سهيلًا: «وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية وكلامه ومراجعته للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرهما.



هند بنت عتبة

بطلة في الجاهلية والإسلام

إنها هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية القرشية، إحدى نساء العرب اللاتي كان لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده وهي أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان [١].

كانت هند ذات صفات ترفع قدرها بين النساء من العرب، ففيها فصاحة، وجرأة وثقة، وحزم ورأي، تقول الشعر وترسل الحكمة، وكانت امرأة لها نفس وأنفة [٢].

زوَّجها أبوها من الفاكه بن المغيرة المخزومي، فولدت له أبانًا، ثم تركته

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٥١)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٢٦٣)، و«تاريخ خليفة ابن خياط» (٢/ ٢٠٣)، و«تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٧)، و«مآثر الخلافة» للقلقشندي (١/ ١١٠).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٥١).

عقب قصة لها معه عندما اتهمها برجل رآه داخل الدار، ثم خرج لما رأى هندًا ولم تكن تعلم به، وقد ذكر ابن كثير في قصة طويلة أنه لما علم الفاكهة أنها مظلومة أخذ بيدها فشدت يدها من يده وقالت إليك عني، والله لا يجمع رأسي وراسك وسادة، وفي رواية أن أباها هو الذي قال ذلك للفاكه[1].

وقالت لأبيها ذات يوم: إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلًا حتى تعرضه عليَّ. فقال لها: ذلك لك. ثم قال لها يومًا: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسميًا لك واحدًا منهما حتى أصفه لك، أما الأول: ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجًا من غفلته، وذلك إسجاح من شيمته، حسن الصحابة، حسن الإجابة، إن تابعته تابعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك في ضعفه، وأما الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بدر أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعَّر بهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، شديد حجاب القبة، إن جاع فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور، قد بينت لك حالهما، قالت: أما الأول فسيد مضياع لكريمته، مؤات لها فيما عسى إن لم تعصم أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جفائها، إن جاءت له بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت. اطو ذكر هذا عني فلا تسمّه لي، وأما الآخر فبعل الحركة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة، وإني لآخذه بأدب البعل مع لزومي قبتي، وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، الزائن لأرومتها، غير مواكل ولا زميّل

(١) المرجع السابق (٨/ ١١١) وانظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢/ ١٩٧).

عند ضعضعة الحوادث، فمن هو؟ قال: ذاك أبو سفيان بن حرب. قال: فزوّجه ولا تُلقني إليه إلقاء المتسلس السلس، ولا تسُمْه سوم المواطس الضرس، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء[1].

وتزوجت هند من أبي سفيان بن حرب، وكانت تحرص دومًا على محامد الفعال، كما كانت ذات طموح واسع، ففي ذات يوم رآها بعض الناس ومعها ابنها معاوية، فتوسموا فيه النبوغ، فقالوا لها عنه: إن عاش ساد قومه.[2]

فلم يعجبها هذا المديح فقالت في إباء وتطلع: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه[3].

ولما كانت موقعة بدر الكبرى قتل في هذه المعركة والد هند، وعمها شيبة، وأخوها الوليد بن عتبة، فراحت ترثيهم مرَّ الرثاء، وفي عكاظ التقت مع الخنساء، فسألتها من تبكين يا هند؟ فأجابت:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميتها من كل باغ
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار
أولئك آل المجد من آل طالب ... وفي العز منها حين ينمي

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٣٥، ٢٣٦). قولها: السليل: السيف السلول، والزُميل: الجبان الضعيف، والضرس: سيء الخلق، والسلس: اللين المنقاد، راجع في هذه المعاني القاموس المحيط ص١٣١٢ مادة سلل وص ١٣٠٦ مادة زمل، وص٧١٢ مادة ضرس واللسان (٦/ ١٠٦) مادة سلس.

(٢) «الإصابة» (٦/ ١٥٢) و «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٢١).

(٣) «معاهد التنصيص» (١/ ٣٥٢)، و«الأغاني» (٤/ ٢١١).

(٤) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١١)، (٤/ ٢٢) و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٥٩).

وفي يوم أحد كان لهند بنت عتبة دورها العسكري البارز، فقد خرجت مع المشركين من قريش، وكان يقودهم زوجها أبو سفيان، وراحت هند تحرض القرشيين على القتال[١]، وتزعمت فئة من النساء، فرحن يضربن الدفوف، وهي ترتجز:

نحـــــن بنـــــات طـــــارق نمـــشي علـــــى النمـــــارق

إن تقبلـــــوا نعانـــــق وإن تدبـــــروا نفـــــارق

وتردد قولها:

ويهًـــا بنـــي عبـــد الـــدار ويهـــا حمـــاة الأدبـــار

ضربـــًا بكـــل بتـــار[٢]

وفي هذه المعركة كانت هند بنت عتبة قد حرضت وحشي بن حرب على قتل حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)، حيث وعدته بالحرية - وكان عبدًا لها- إن هو قتل حمزة، فكانت تؤجج في صدره نيران العدوان، وتقول له: إيه أبا دسمة، اشف واشتف[٣].

ولما قتل وحشي حمزة (رضي الله عنه) جاءت هند إلى حمزة وقد فارق الحياة، فشقت بطنه ونزعت كبده، ومضغتها ثم لفظتها[٤]، وعلت صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نحـــن جزينـــاكم بيـــوم بـــدر والحـــرب بعـــد الحرب ذات سُعر

مـــا كـــان عـــن عتبـــة لي مـــن صـــبر ولا أخـــي وعمـــه وبكـــري

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١٦) و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٦٤).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٤) و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٦٤).

(٣) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١١)، و «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٠).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٣٧).

شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشيُّ غليل صدري

فشُكر وحشي على عمري ... حتى ترمَّ أعظمي في قبري"[١]

وبقيت هند على الشرك حتى شرح الله - تعالى- صدرها للإسلام يوم فتح مكة، ففي عشية ليلة الفتح؛ فتح مكة، عاد أبو سفيان بن حرب من عند رسول الله ﷺ مسلمًا وهو يصيح: يا معشر قريش.. ألا إني قد أسلمت فأسلموا، إن محمدًا ﷺ قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند فأخذت بشاربه وهي تردد: بئس طليعة القوم أنت.. يا أهل مكة اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم. فقال أبو سفيان: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبو سفيان فهو آمن. فقالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك. قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد"[٢].

وفي اليوم الثاني لفتح مكة قالت هند لزوجها أبي سفيان: إنما أريد أن أتابع محمدًا فخذني إليه.

فقال لها: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث بالأمس.

فقالت: إني والله لم أر أن الله قد عُبد حق عبادته في هذا المسجد إلا في هذه الليلة، والله إن يأتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا.

---

(١) انظر «الإصابة» (٨/ ١٤٨).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٩١)، و «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٣٦)، وقولها: الحميت قال في اللسان (٢/ ٢٦) الحميت من كل شيء المتين، قال ابن منظور تعليقًا على كلام هند هذا السابق : تعنيه أي أبا سفيان استعظامًا لقوله. والأحمس أي المتشدد انظر «لسان العرب» (٦/ ٥٧).

فقال لها: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك، فذهبت إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فذهب بها إلى رسول الله ﷺ فأسلمت وبايعت[١].

وقد أخرج البخاري عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خبائك.. ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك، فقال: (**وأيضًا والذي نفسي بيده**)، فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مسيك فهل عليّ من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: (لا، إلا بالمعروف)[٢].

ومع مرور الأيام تزداد هند إيمانًا ويقينًا، حيث اشتركت في الجهاد مع زوجها أبي سفيان في غزوة اليرموك الشهيرة، وأبلت فيها بلاءً حسنًا، وكانت تحرض المسلمين على قتال الروم فتقول: عاجلوهم بسيوفكم يا معشر المسلمين[٣].

وظلت هند بقية حياتها مسلمة مؤمنة مجاهدة حتى توفيت سنة أربع عشرة للهجرة[٤].

فرضي الله عنها وأرضاها، وغفر لها ورحمها، إنه على كل شيء قدير.



---

(١) انظر الطبقات الكبرى (٨/ ٢٣٦، ٢٣٧) و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ذكر هند بنت عتبة (رضي الله عنها) (٣/ ١٣٩٠) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٧٠) وانظر «فتح الباري» (٩/ ٥٠٨) و«تعليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٨١).

(٣) انظر : «فتوح البلدان» للبلاذري (٢/ ١٤١).

(٤) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٥١).



أم ورقة الأنصارية

العابدة الحافظة

إنها -كما يقول أبو نعيم- الشهيدة القارئة، أم ورقة الأنصارية، كانت تؤم المؤمنات المهاجرات، ويزورها النبي ﷺ في الأحايين والأوقات.

نشأت على حب كتاب الله -تعالى-، واشتهرت بكثرة الصلاة وحسن العبادة(١).

وكان رسول الله ﷺ يقدر أم ورقة ويعرف مكانتها، ويكبر حفظها وإتقانها، وكان يأمرها بأداء الصلاة في بيتها.

وأما عن حبها (رضي الله عنها) للجهاد والشهادة في سبيل الله فها هي تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قلت له: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة. قال: **(قري في بيتك فإن الله**

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٦/ ٢٠٢)، و«الآحاد والمثاني» (٦/ ١٣٩)، و«الإصابة» (٢/ ٣٤١)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٥٧)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٦٣).

-تعالى- يرزقك الشهادة)[١].

وعادت الصحابية العابدة أم ورقة إلى بيتها سامعة مطيعة أمر النبي ﷺ لأن طاعته واجبة. وغدت أم ورقة (رضي الله عنها) تعرف بهذا الاسم «الشهيدة» بسبب قوله - عليه الصلاة والسلام- : (**قري في بيتك فإن الله -تعالى- يرزقك الشهادة**)، ولما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة أن النبي ﷺ كان إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثلة من أصحابه الكرام، وقال له: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»[٢].

وفي عهد عمر كان (رضي الله عنه) يتفقدها ويزورها، اقتداء بنبيه ﷺ.

وقد كانت أم ورقة تملك غلامًا وجارية، وكانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتها، فسولت لهما نفساهما أن يقتلا أم ورقة، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها، وهربا، فلما أصبح عمر (رضي الله عنه) قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة.

فدخل الدار فلم ير شيئًا، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت، فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر، وقال: عليَّ بهما، فأُتي بهما، فصلبهما، فكانا أول مصلوبين في المدينة[٣].

فرحم الله -تعالى- الصحابية الأنصارية والشهيدة العابدة ورضي عنها وأرضاها.



(١) رواه أبو داود في سننه (٥٩١)، وحسنه الألباني.

(٢) أسد الغابة (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، والطبقات الكبرى (٨/ ٤٥٧)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٦٣)، و «الإصابة» (٧/ ٧٣٥).

(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٥٧)، و«الإصابة» (٨/ ٣٢١)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٢٠٢).

فهرس المراجع

- الأدب المفرد. البخاري. ط. عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٤هـ.
- أسد الغابة. ابن الأثير. ط. دار الفكر ١٤٠٩هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب (مع الإصابة). ابن عبد البر. ط. دار صادر، بيروت، الأولى ١٣٢٨هـ.
- البداية والنهاية. ابن كثير. ط. دار الريان للتراث، الأولى ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الإسلام. شمس الدين الذهبي. ط دار الكتاب العربي، الأول ١٤٠٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ط. المكتبة التجارية بمصر، الثالثة، ١٣٧٣هـ.
- تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. ط. دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤١٢هـ.
- حلية الأولياء. أبو نعيم الأصفهاني. ط. دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٩هـ.
- حياة الصحابة. محمد بن يوسف الكاندهلوي. ط. دار الكتاب العربي، الثانية ١٤١٠هـ.
- ديوان مجد الإسلام. أحمد محرم. ط. مكتبة الفلاح، الكويت.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي. ط. دار المعرفة ١٣٩٨هـ.
- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين. الطبري، ط. مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.
- سنن ابن ماجه. ط. دار الحديث، القاهرة.
- سنن أبي داود. ط. دار الفكر.

- سنن الترمذي. ط. دار الحديث، القاهرة.
- سنن الدارمي. ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء شمس الدين الذهبي. ط. مؤسسة الرسالة.
- السيرة النبوية. ابن هشام. ط. دار الكنوز الأدبية.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. محمد ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي، الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- صحيح مسلم. ط. المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
- صفة الصفوة. ابن الجوزي. ط. دار المعرفة، بيروت، الرابعة ١٤٠٤هـ.
- الطبقات الكبرى. ابن سعد. ط. دار الفكر ١٤٠٥هـ.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة، بيروت.
- فتوح البلدان. أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري. ط. مكتبة النهضة العصرية، القاهرة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي. ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري. ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- المسند. أحمد بن حنبل الشيباني. ط. المكتب الإسلامي، الرابعة ١٤٠٣هـ.
- المصنف. عبد الرزاق بن همام الصنعاني. توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.
- نساء حول الرسول. محمد الاستانبولي ومصطفى شلبي. ط. مكتبة السوادي.
- نساء مبشرات بالجنة. أحمد خليل جمعة. ط. دار ابن كثير، الأولى ١٤١١هـ.

- نساء من عصر النبوة. أحمد خليل جمعة. ط. دار ابن كثير، الأولى ١٤١٢هـ.
- نسيبة بنت كعب المازنية. محمد حسن بريغش، ط. مكتبة المنار، الأردن، الثالثة ١٤٠٤هـ.
- إضافة إلى مراجع أخرى تجدها داخل الكتاب.



الفهرس